قواعـد في ولايـة الله تعالى

"RULES OF THE GUARDIANSHIP OF ALLAH, THE ALMIGHTY"

بحث مقدم من الدكتورة أسماء بنت سليمان السويلم

أستاذ مشارك تخصص : العقيدة والمذاهب المعاصرة

جامعة الملك عبد العزيز– جدة

قسم الدراسات الإسلامية – فرع كليات البنات

Prepared by:

Dr. Asmaa Solaiman Al-Sowailem

Associate Professor in King Abdulaziz University in Jeddah

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستهديه ، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ، ومن سيئات أعمالنا ، من يهده الله فلا مضل له ، ومن يضلل فلا هادي له ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله ، أما بعد:

فإنه مما لاشك فيه أن رضى الله غاية كل مؤمن ، وقد أبان الله تعالى سبيله الموصل إليه غاية بيان في كتابه العزيز وسنة نبيه محمد صلى الله عليه وسلم ، فقال عز من قائل : ﴿ وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ ذَلِكُمْ وَصَّاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴾(الأنعام/١٥٣) ، وفي الحديث عن عبد الله بن مسعود قال: (خط لنا رسول الله ﷺ يوماً خطاً، ثم قال: "هذا سبيل الله"، ثم خط خطوطاً عن يمينه وخطوطاً عن يساره ثم قال: "هذه سُبل على كل سبيل منها شيطان يدعو إليها" ثم قرأ هذه الآية)[١].

وروي هذا الحديث موقوفاً على عبد الله بن مسعود رضي الله عنه بلفظ آخر، وذلك أن رجلاً قال لابن مسعود: "ما الصراط المستقيم؟ قال: تركنا محمد ﷺ في أدناه وطرفه في الجنة، وعن يمينه جواد وعن يساره جواد، وثمّ رجال يدعون من مر بهم، فمن أخذ في تلك الجواد انتهت به إلى النار، ومن أخذ على الصراط المستقيم انتهى به إلى الجنة". ثم قرأ ابن مسعود: ﴿وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيماً فَاتَّبِعُوهُ وَلا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ ذَلِكُمْ وَصَّاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴾ (الأنعام: ١٥٣)[٢].

ومع وضوح هذا المنهج الرباني المقرون بالبيان النبوي إلا أنه قد وقع فيه خلط ؛ حتى التبس الأمر عند بعض المسلمين في موضوع من أهم الموضوعات المتعلقة بذلك المنهج وهو موضوع الولاية حيث اختلط المعنى الشرعي بالمعنى الشركي ، واستغلت بعض الفرق والمذاهب هذا الالتباس لتضليل الناس، وإلباس المصطلح البدعي لبوس الشرع حتى يروج.

ومن أسباب هذا الانحراف : غياب القواعد والأصول التي قعدها وسار عليها سلف هذه الأمة في موضوع الولاية والمستندة على الأدلة من الكتاب العزيز والسنة الشريفة.

---

[١] كتاب الشريعة للآجري (١/ ٢٩٠) وقال محققه إسناده حسن، ورواه الحاكم في المستدرك (٢/ ٢٣٩، ٣١٨) وقال صحيح الإسناد ولم يخرجاه ووافقه الذهبي، وأحمد في المسند (١/ ٤٣٥، ٤٦٥)، وصححه الألباني في ظلال الجنة (١/ ١٣).

[٢] تفسير الطبري (٨/ ٦٥).

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله:
" لابد أن يكون مع الإنسان أصول كلية ترد إليها الجزئيات ليتكلم بعلم وعدل، ثم يعرف الجزئيات كيف وقعت؟ وإلا فيبقى فى كذب وجهل فى الجزئيات، وجهل وظلم فى الكليات، فيتولد فساد عظيم." [٣]
وقال الشيخ ابن عثيمين رحمه الله : " أنه من نعمة الله تعالى أن جعل لهذه البحور الزاخرة، (بحور العلم) جعل لها أصولا تسهل نيلها، وهذه الأصول هي القواعد والضوابط" .

وقال رحمه الله : ""فمن تَفُتْهُ" أي: من تفته القواعد يحرم الوصول أي: الوصول إلى العلم، وفي ذلك يقول العلماء: من حُرم الأصول حُرم الوصول؛ لذلك ينبغي لنا أن نحرص على معرفة القواعد، وعلى معرفة ما تتضمنه، وأن نتباحث فيها وأن نسأل من هو أعلم منا حتى نحصل على المقصود." [٤]

والقاعدة حتى يصح أن يطلق عليه قاعدة لابد أن تكون مبنية على الأدلة الشرعية ، قال الألباني رحمه الله: " أيُ قاعدة علمية حينما تكون قاعدة علمية حقيقةً، فهي قائمة على أدلة شرعية ليس مجرد فكر أو هوى"[٥] ، قال تعالى : ﴿وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِنْ أَمْرِنَا مَا كُنْتَ تَدْرِي مَا الْكِتَابُ وَلا الإِيمَانُ وَلَكِنْ جَعَلْنَاهُ نُورًا نَهْدِي بِهِ مَنْ نَشَاءُ مِنْ عِبَادِنَا وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ * صِرَاطِ اللَّهِ الَّذِي لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ أَلا إِلَى اللَّهِ تَصِيرُ الأُمُورُ﴾.

ولا شك أن التأصيل أو التقعيد مطلب شرعي ، والسير على القواعد والأصول منزلة عظيمة والموفق من هُدي إلى ذلك ، لذا وجب على طالب العلم أن يُشمر عن ساعد الجد فيُحصل من كل علم على أصوله وقواعده، والتي يميز من خلالها بين الحق والباطل وبين السنة والبدعة، لذا جاء هذا البحث ليسهم ولو بشيء يسير في موضوع الولاية و يبين قواعد فيها لتنير للمسلمين الحق وتنقشع ظلمة البدعة والجهل.

أهمية البحث :

١. تعلق موضوع البحث بأمور الاعتقاد عموماً ، وأنواع توحيد الله تبارك وتعالى خصوصا .
١. وقوع البدع والأخطاء في هذا الأمر (الولاية) والتباسه على بعض المسلمين، ولذا كان لزاماً مساعدة المسلمين لفهم المعنى الصحيح بوضع قواعد ضابطة لهذه المسألة ؛ لاسيما في زمن الانفتاح الإعلامي الذي سهل على كثير من المشعوذين نشر باطلهم والتلبيس على العوام .
٢. حاجة المجتمع المسلم لموضوع القواعد في الولاية خاصة مع كثرة الانحرافات والبدع فيه.

---

[٣] مجموع الفتاوى (٢٠٣/١٩).

[٤] انظر شرح منظومة العثيمين في القواعد والأصول ١-http://sedra.info/merathcd/othimeen/qwaedwosool.rar - audio.islamweb.net

[٥] سلسلة الهدى والنور السمعية للشيخ الألباني شريط رقم ٤١

هدف البحث:

ضبط القواعد والأصول في الولاية حسب معتقد أهل السنة والجماعة المستند إلى التسليم لنصوص الكتاب والسنة.

منهج البحث:

سيتبع في هذا البحث المنهج التاريخي ، والمنهج الإستقرائي وذلك بتتبع الأدلة الشرعية وأقوال السلف الصالح في الولاية وعرضها واستنباط القواعد من خلالها.

خطة البحث :

حوى البحث على مقدمة وتمهيد وثلاثة مطالب وخاتمة ، وهي كما يلي :

المقدمة وفيها أهمية البحث والهدف منه ومنهجه وخطته.

التمهيد وفيه تعريف بمصطلحات البحث وهي : القواعد – الولاية .

المطلب الأول : سبيل الولاية ، وفيه أربع قواعد :

القاعدة الأولى : أساس الولاية : الإيمان والتقوى، وشرطها المتابعة .

القاعدة الثانية : كل مؤمن معه أصل الولاية إذا كان معه أصل الإيمان .

القاعدة الثالثة : لا تنال الولاية بالوراثة ولا بالنسب .

القاعدة الرابعة : لا تثبت الولاية و لا تصح إلا لمن يصح إيمانه وتصح عباداته .

المطلب الثاني : ما يجب وما يمتنع في حق أولياء الله وفيه عشر قواعد :

القاعدة الأولى : الأولياء متفاضلون بحسب تفاضلهم في الإيمان والتقوى .

القاعدة الثانية : لا سبيل لحصر عدد الأولياء ، ولا تقييدهم بزمان، ولا بمكان ، ولا تمييزهم بلباس .

القاعدة الثالثة : الأولياء من غير الأنبياء ليسوا بمعصومين .

القاعدة الرابعة : لا طاعة واجبة لأحد من الأولياء خلا الأنبياء .

القاعدة الخامسة : لا يجوز صرف أي نوع من أنواع العبادة لغير الله حتى لو كان نبيّاً أو ولياًّ، ولا تقديسه حيًا أو ميتًا.

القاعدة السادسة: الولاية لا تبيح لصاحبها فعل المحرمات ولا ترك الواجبات.

القاعدة السابعة: ليس للأولياء قدرات إلا ما أعطوا من الكرامات .

القاعدة الثامنة : ليس من شرط الولي أن يُعطى كرامة ، وليست الكرامات مقياسا للتفضيل بين الأولياء .

القاعدة التاسعة : إن حصول خوارق العادات ليس دليلا على الولاية .

القاعدة العاشرة : الواجب إعطاء الولي حقه من غير غلو ولا جفاء .

المطلب الثالث : علاقة الولاية بالنبوة وفيه قاعدتان :

القاعدة الأولى : النبوة هي أعلى درجات الولاية وأرقاها .

القاعدة الثانية : الولاية ليست مختومة كالنبوة .

الخاتمة وفيها أهم نتائج البحث .

هذا والله أسأل أن يرينا الحق حقا ويرزقنا إتباعه ويرينا الباطل باطلا ويرزقنا اجتنابه، وصلِ اللهم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليما كثيرا.

التمهيد

من الأمور التي وقع فيها الاختلاف وتعد أصلا من أصول الاعتقاد عند أهل السنة والجماعة مسألة الولاية والأولياء ، وقبل أن نتكلم عن القواعد في الولاية لا بد لنا من تعريف القواعد ، والولاية ، والولي، حتى يكون لنا تصور للمعنى المراد من الاصطلاح .

أولا: تعريف القواعد:

١- القواعد في اللغة :

القواعد في اللغة جمع قاعدة من الفعل قعد ، والقواعد الأساس والأصول ، فيقال قواعد البيت وقواعد السحاب أي أساساته وأصوله.[٦]

٢- القواعد في الاصطلاح :

القاعدة هي الأساس والأصل لما فوقها، وهي تجمع فروعا من أبواب شتى[٧] ، وهي الأمر الكلي المنطبق على جميع جزئياته ، وتعرف القاعدة بأنها : قضية كلية يدخل تحتها جزئيات كثيرة ، وتحيط بالفروع والمسائل من الأبواب المتفرقة.[٨]

فتكون القاعدة بمعنى الأساس الذي تقوم عليه فروع المسألة ، و"قواعد في ولاية الله تعالى" هي الأسس والأصول التي يسير عليه أئمة السلف في إثبات ولاية العبد لربه عز وجل ، وضبط مسائلها .

ثانيا: تعريف الولاية:

١-الولاية في اللغة:

الولاية في اللغة : من وَلِيَ : والولي القرب والدنو والاسم منه الوَلِيّ المحب والنصير، وولي الشيء وعليه ولاية و وَلاية (المصدر) وبالكسر أي : الخطة والأمارة والسلطان والاجتماع على يد واحدة لنصرة معينة، وأوليته الأمر: أي وليته إياه . والوَلاء : الملك . والمولى : المالك والعبد ، المعتِق والمعتَق ، الصاحب، القريب، الناصر، والمحب . ووالى بين الأمرين موالاة وولاء : أي تابع .[٩]

---

[٦] انظر لسان العرب لابن منظور (٣/٣٥٧) ، القاموس المحيط للفيروز آبادي (٣٩٧)، الكليات للكفوي(٧٣٨) ، مختار الصحاح للرازي(٢٢٧).

[٧] انظر الكليات للكفوي (٧٢٨)

[٨] القواعد الفقهية وتطبيقاتها في المذاهب الأربعة لمحمد مصطفى الزحيلي (٢١ ، ٢٢)، الكليات للكفوي(٧٣٤)

[٩] القاموس المحيط ، للفيروز أبادي (١٣٤٤)

والوِلاية : بالكسر السلطان والملك، والوَلاية : بالفتح : النصرة والتولي، وقيل:بالكسر في الأمور وبالفتح في الدِين، وقال ابن فارس : الواو واللام والياء : أصل صحيح يدل على قرب. [١٠]

قال شارح الطحاوية :" الولي من الوَلاية : بفتح الواو التي هي ضد العداوة ، وقيل بالفتح : النصرة ، وبالكسر: الإمارة. وقيل هما لغتان "[١١]

قال شيخ الإسلام :" الولاية : ضد العداوة ، وأصل الولاية : المحبة والقربة ، وأصل العداوة : البغض والبعد، وقد قيل : إن الولي سمي ولياً من موالاته للطاعات أي متابعته لها والأول أصح ، والولي : القريب " [١٢]

فمدارات الكلمة "وَ لِيَ " تدور على: القرب ، والمحبة، والنصرة، والسلطان، والمتابعة.

٢-الولاية في اصطلاح الشرع :

الولاية في اصطلاح الشرع : مرتبة في الدين عظيمة لا يبلغها إلا المؤمن التقي الذي قام بالدين ظاهراً وباطناً.

وصاحب الولاية يقال له الولي، قال الطبري :" وليّ الله، هو من كان بالصفة التي وصفه الله بها، وهو الذي آمن واتقى، كما قال الله: الَّذِينَ آمَنُوا وكانُوا يَتَّقُونَ."[١٣]

قال ابن كثير : " يخبر تعالى أن أولياءه هم الذين آمنوا وكانوا يتقون ، كما فسرهم ربهم ، فكل من كان تقيا كان لله وليا : أنه (لا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ) فيما يستقبلون من أهوال القيامة ، (وَلا هُمْ يَحْزَنُونَ) على ما وراءهم في الدنيا .

وقال عبد الله بن مسعود ، وابن عباس ، وغير واحد من السلف : أولياء الله الذين إذا رُؤوا ذُكِر الله . وقد ورد هذا في حديث مرفوع . عن أبي هريرة رضي الله عنه ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (إن من عباد الله عبادا يغبطهم الأنبياء والشهداء . قيل : من هم يا رسول الله ؟ لعلنا نحبهم . قال : هم قوم تحابوا في الله من غير أموال ولا أنساب ، وجوههم نور على منابر من نور ، لا يخافون إذا خاف الناس ، ولا يحزنون إذا حزن الناس . ثم قرأ : ﴿ أَلا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ لا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴾ رواه أبو داود بإسناد جيد[١٤]."[١٥]

---

[١٠] معجم مقاييس اللغة (١٥ /٤٠٧) ، الكليات للكفوي(٩٤٠)

[١١] شرح العقيدة الطحاوية (٣٥٧-٣٥٨).

[١٢] الفرقان بين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان (٥٤٠/٢) ضمن مجموعة التوحيد- تحقيق: بشير عيون.

[١٣] تفسير الطبري (٩٢/١١)

[١٤] وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة (١٣٦٩/٧)

[١٥] تفسير القرآن العظيم لابن كثير (٢٧٨/٤)

وقال ابن رجب الحنبلي . رحمه الله . : " أولياء الله هم:الذين يتقربون إليه بما يقربهم منه، وأعداؤه الذين أبعدهم منه بأعمالهم المقتضية لطردهم وإبعادهم منه "[١٦]

قال ابن حجر : " المراد بولي الله تعالى : العالم بالله تعالى ، المواظب على طاعته ، المخلص في عبادته "[١٧]

٣-جانبا الولاية :

الولي فعيل يأتي بمعنى فاعل ، وهو الله عز وجل ولي المؤمنين هو الولي الناصر ، ينصر عباده المؤمنين، ومنه قوله تعالى (الله ولي الذين آمنوا). [١٨] والولي يأتي بمعنى المفعول وهو العبد الولي لله تعالى هو العالم بدين الله تعالى ، المواظب على طاعته المخلص في عبادته .[١٩]

وهذان هما جانبا الولاية ، إذ للولاية جانبان:

جانب يتعلق بالعبد : وهو القيام بالأوامر واجتناب النواهي ثم التدرج في مراقي العبادة بالنوافل .

وجانب يتعلق بالرب سبحانه وتعالى : وهو محبة هذا العبد – نسأل الله من فضله- ونصرته وتثبيته على الاستقامة والإيمان وهدايته إلى معرفته وطاعته ونصرة دينه ، ورعايته في كل وقت وحفظه لجوارحه.

وهذا المعنى يؤكده الحديث القدسي : الذي يرويه عليه الصلاة والسلام عن ربه : " إن الله تعالى قال : من عادى لي ولياً فقد آذنته بالحرب وما تقرب إليّ عبدي بشيء أحب إليّ مما افترضه عليه ، وما يزال عبدي يتقرب إلي بالنوافل حتى أحبه ، فإذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به ، وبصره الذي يبصر به ، ويده التي يبطش بها ورجله التي يمشي بها ، وإن سألني لأعطينه ، ولئن استعاذ بي لأعيذنه ..."[٢٠]، فالحديث تضمن المعاني التي في قوله تعالى: " ألا إن أولياء الله لا خوف عليهم ولاهم يحزنزن الذين آمنوا وكانوا يتقون" :

جانب العبد : وهو أداء الفرائض ثم التقرب بالنوافل.

وجانب الرب سبحانه وتعالى : وهو محبته لذلك العبد ونصرته وتأييده ورعايته وحفظه لجوارحه ، وهذا معنى قوله عليه الصلاة والسلام لابن عباس رضي الله عنهما " يا غلام : احفظ الله يحفظك "[٢١]، فالآية الكريمة والحديث القدسي كلاهما يؤكدان الجانبين المذكورين .[٢٢]

---

[١٦] جامع العلوم والحكم (٢/٣٣٥) لأبي الفرج عبد الرحمن بن شهاب الدين الشهير بابن رجب.

[١٧] فتح الباري شرح صحيح البخاري لأحمد بن علي بن حجر العسقلاني (٣٤٢/١١)

[١٨] الجامع لأحكام القرآن و المعروف بتفسير القرطبي لأبي عبدالله محمد بن أحمد القرطبي (٣/ ٢٨٣، ٣٥٧)

[١٩] فتح الباري (٣٤٢/١١)

[٢٠] صحيح البخاري،كتاب الرقاق، باب التواضع،حديث ٦٥٠٢ ، فتح الباري (٣٤٠/١١)

[٢١] صحيح البخاري (٣٠٧/١).

[٢٢] انظر شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة للالكائي – مقدمة تحقيق كرامات أولياء الله عز وجل للالكائي -تحقيق أحمد سعد حمدان (٧- ٨) ،وانظر عقيدة المؤمن لأبي بكر الجزائري (١٠٢-١٠١).

وأما الفرق بين الولايتين فبين واضح :

فولاية الله تعالى لعبده : إكراماً له وإنعاماً عليه ، وهي من رحمته وإحسانه ، ليست كولاية المخلوق للمخلوق فإنها عن فقر واحتياج ، سبحانه وتعالى فهو الغني عن كل ما سواه والكل مفتقر إليه ، قال تعالى: ﴿ وَقُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا وَلَمْ يَكُنْ لَهُ شَرِيكٌ فِي الْمُلْكِ وَلَمْ يَكُنْ لَهُ وَلِيٌّ مِنَ الذُّلِّ وَكَبِّرْهُ تَكْبِيرًا ﴾ (الإسراء/١١١).

وولاية العبد لله تعالى : لفقر العبد وحاجته إلى ربه ، فلا يسعد العبد إلا في جوار ربه ولا ينعم إلا إذا تغمده الله برحمته.[23]

والولاية التي من الله للعبد تنقسم إلى : عامة ، وخاصة .

فالولاية العامة هي: الولاية على العباد بالتدبير والتصريف ، وهذه تشمل المؤمن والكافر وجميع الخلق ، فالله هو الذي يتولى عباده بالتدبير والتصريف والسلطان وغير ذلك ، ومنه قوله تعالى : ﴿ ثم ردوا إلى الله مولاهم الحق ألا له الحكم وهو أسرع الحاسبين ﴾

والولاية الخاصة: أن يتولى الله العبد بعنايته وتوفيقه وهدايته ، وهذه خاصة بالمؤمنين ، قال تعالى: ﴿ الله ولي الذين آمنوا يخرجهم من الظلمات إلى النور والذين كفروا أولياؤهم الطاغوت يخرجونهم من النور إلى الظلمات ﴾ وقال: ﴿ ألا إن أولياء الله لا خوف عليهم ولا هم يحزنون الذين آمنوا وكانوا يتقون﴾ ". [24]

وهذه الولاية " ولاية الله للعبد وولاية العبد لله "هي المقصودة في هذا البحث ، إذ الولاية ذكرت في كتاب الله العزيز على نوعين: ولاية للرحمن وأولياؤه المؤمنون ، وولاية للشيطان وهم حزبه الخاسرون .

٤- أنواع الولاية:

ذكرت الولاية في كتاب الله العزيز على نوعين: ولاية للرحمن وأولياؤه المؤمنون ، وولاية للشيطان وهم حزبه الخاسرون .

قال شيخ الإسلام - يرحمه الله تعالى — : " بيَّن الله - سبحانه وتعالى - في كتابه الكريم وفي سُنة نبيه - صلَّى الله عليه وسلَّم - أنَّ له أولياءَ من الناس وللشيطان أولياء، فقال الله - تعالى - مبينًا أولياءَ الرحمن: ﴿ أَلَا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ * الَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ * لَهُمُ الْبُشْرَى فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ لَا تَبْدِيلَ لِكَلِمَاتِ اللَّهِ ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ * وَلَا يَحْزُنْكَ قَوْلُهُمْ إِنَّ الْعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴾ (يونس: ٦٢ — ٦٥).

وقال - تعالى -: ﴿ اللَّهُ وَلِيُّ الَّذِينَ آمَنُوا يُخْرِجُهُمْ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَوْلِيَاؤُهُمُ الطَّاغُوتُ يُخْرِجُونَهُمْ مِنَ النُّورِ إِلَى الظُّلُمَاتِ أُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴾.

---

[23] انظر شرح العقيدة الطحاوية لابن أبي العز الحنفي(٥٠٦/٢).

[24] انظر مجموع فتاوى ورسائل الشيخ محمد بن صالح العثيمين ، كتاب التوحيد (١٠/ ٦٤٠)

وقال – تعالى –: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الْيَهُودَ وَالنَّصَارَى أَوْلِيَاءَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ مِنْكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ * فَتَرَى الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ يُسَارِعُونَ فِيهِمْ يَقُولُونَ نَخْشَى أَنْ تُصِيبَنَا دَائِرَةٌ فَعَسَى اللَّهُ أَنْ يَأْتِيَ بِالْفَتْحِ أَوْ أَمْرٍ مِنْ عِنْدِهِ فَيُصْبِحُوا عَلَى مَا أَسَرُّوا فِي أَنْفُسِهِمْ نَادِمِينَ * وَيَقُولُ الَّذِينَ آمَنُوا أَهَؤُلَاءِ الَّذِينَ أَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ إِنَّهُمْ لَمَعَكُمْ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فَأَصْبَحُوا خَاسِرِينَ * يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَنْ يَرْتَدَّ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ أَذِلَّةٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى الْكَافِرِينَ يُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَائِمٍ ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ * إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ * وَمَنْ يَتَوَلَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا فَإِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْغَالِبُونَ ﴾ (المائدة: ٥١ – ٥٦).

هكذا بيَّن الكتاب صفاتِ "أولياء الرحمن" التي منها: العِلم والمعرفة، والصلاح والتقوى، وذلك يعني أنَّ الأولياء هم العلماء العاملون والفقهاء المبرزون حَمَلة كتاب الله ، المتَّبعون لسُنَّة نبيه – عليه الصلاة والسلام.

وقال مبينًا أولياءَ الشيطان: ﴿ فَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ * إِنَّهُ لَيْسَ لَهُ سُلْطَانٌ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ * إِنَّمَا سُلْطَانُهُ عَلَى الَّذِينَ يَتَوَلَّوْنَهُ وَالَّذِينَ هُمْ بِهِ مُشْرِكُونَ ﴾ (النحل: ٩٨ – ١٠٠)، وقال – تعالى –: ﴿ الَّذِينَ آمَنُوا يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ كَفَرُوا يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ الطَّاغُوتِ فَقَاتِلُوا أَوْلِيَاءَ الشَّيْطَانِ إِنَّ كَيْدَ الشَّيْطَانِ كَانَ ضَعِيفًا ﴾ (النساء: ٧٦)، وقال – تعالى –: ﴿ وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ كَانَ مِنَ الْجِنِّ فَفَسَقَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِ أَفَتَتَّخِذُونَهُ وَذُرِّيَّتَهُ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِي وَهُمْ لَكُمْ عَدُوٌّ بِئْسَ لِلظَّالِمِينَ بَدَلًا ﴾ (الكهف: ٥٠)، وقال – تعالى –: ﴿ وَمَنْ يَتَّخِذِ الشَّيْطَانَ وَلِيًّا مِنْ دُونِ اللَّهِ فَقَدْ خَسِرَ خُسْرَانًا مُبِينًا * يَعِدُهُمْ وَيُمَنِّيهِمْ وَمَا يَعِدُهُمُ الشَّيْطَانُ إِلَّا غُرُورًا * أُولَئِكَ مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَلَا يَجِدُونَ عَنْهَا مَحِيصًا ﴾ (النساء: ١١٩ – ١٢١)، وقال – تعالى –: ﴿ الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَانًا وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ * فَانْقَلَبُوا بِنِعْمَةٍ مِنَ اللَّهِ وَفَضْلٍ لَمْ يَمْسَسْهُمْ سُوءٌ وَاتَّبَعُوا رِضْوَانَ اللَّهِ وَاللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَظِيمٍ * إِنَّمَا ذَلِكُمُ الشَّيْطَانُ يُخَوِّفُ أَوْلِيَاءَهُ فَلَا تَخَافُوهُمْ وَخَافُونِ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴾ (آل عمران: ١٧٣ – ١٧٥).

فأولياء الشيطان هم أتْباعُه العاصون لله – عزَّ وجلَّ – المخالفون لكتابه ولسُنة نبيِّه – صلَّى الله عليه وسلَّم – المغرورون بتزيين الشيطان ووعْده لهم؛ ﴿ يَعِدُهُمْ وَيُمَنِّيهِمْ وَمَا يَعِدُهُمُ الشَّيْطَانُ إِلاَّ غُرُورًا ﴾.

وإذا عُرِف أنَّ الناس فيهم أولياء الرحمن وأولياء الشيطان، فيَجب أن يُفرَّق بين هؤلاء وهؤلاء، كما فرَّق الله ورسوله بينهما."[٢٥]

---

[٢٥] الفرقان (٢/٥٣٦) ضمن مجموعة التوحيد.

المطلب الأول : سبيل الولاية ، وفيه أربع قواعد :

القاعدة الأولى : أساس الولاية : الإيمان والتقوى ، وشرطها المتابعة .

القاعدة الثانية : كل مؤمن معه أصل الولاية إذا كان معه أصل الإيمان .

القاعدة الثالثة : لا تنال الولاية بالوراثة ولا بالنسب .

القاعدة الرابعة : لا تثبت الولاية و لا تصح إلا لمن يصح إيمانه وتصح عباداته .

وهذا شرح وبيان لهذه القواعد:

القاعدة الأولى : أساس الولاية الإيمان والتقوى، وشرطها المتابعة :

أساس الولاية الإيمان والتقوى بنص القرآن الكريم ، يقول الله عز وجل ﴿ أَلَا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ * الَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ ﴾ (يونس:٦٢-٦٣) وقال عز من قائل:﴿ إن أولياؤه إلا المتقون﴾ (الأنفال/٣٤)
يخبر الله تعالى في الآية أن أولياءه هم الذين آمنوا وكانوا يتقون ، فكل من كان تقيًّا كان لله وليًّا .[٢٦]
والمتقون : هم الذين اتقوا عقاب الله فاجتنبوا معاصيه وحذروا وعده فلم يتعدوا حدوده وخافوه فقاموا بأداء فرائضه . و أولياء الله هم الذين صدقوا رسول الله وما جاء به من عند الله ، وكانوا يتبعون الله بأداء فرائضه واجتناب معاصيه .[٢٧]

فكل من كان مؤمنًا تقيًّا ، كان لله وليًّا ، ومن لم يكن كذلك فليس بوليّ لله تعالى ، وإن كان معه بعض من الإيمان والتقوى كان فيه شيء من الولاية مع أننا لا نجزم لشخص بشيء بعينه .[٢٨]

هذا أساس الولاية وأصلها ، أما شرطها فقد ذكره عز وجل في قوله تعالى :﴿ قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾(آل عمران/٣١)

---

[٢٦] تفسير القرآن العظيم لابن كثير (٤٠٤/٢) ،وانظر: تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان لعبدالرحمن السعدي (٣٦٨)

[٢٧] تفسير الطبري (٩٢/١١)

[٢٨] فتاوى مهمة لعموم الأمة للشيخ محمد بن صالح العثيمين (٨٤)

فأصل الولاية الإيمان والتقوى ، وشرطها الموافقة التامة في الحب والبغض ، والموالاة والمعاداة ، ومتابعة الرسول صلى الله عليه وسلم ، في كل ما جاء به ودعا إليه من أصول العقائد والعبادات والآداب والأخلاق ؛ متابعة يتجرد فيها العبد لله ويخلص له فيها ، إذ لا تتم محبة الله للعبد إلا بشرط المتابعة للرسول صلى الله عليه وسلم .[٢٩]

وخلاصة الأمر :
أن كل من تحقق فيه ركنا الولاية (الإيمان والتقوى)، وأدى شرطها (المتابعة للرسول صلى الله عليه وسلم) فالولاية متحققة فيه .

القاعدة الثانية : كل مؤمن معه أصل الولاية إذا كان معه أصل الإيمان :

مادام أن أساس الولاية وركنها الإيمان والتقوى ، فكل مؤمن معه أصل الإيمان معه أصل الولاية ، وبقدر حظه من الإيمان يكون حظه من الولاية بقدره .

قال الشيخ ابن عثيمين:
" من كان مؤمنًا تقيًّا ، كان لله وليًّا ، ومن لم يكن كذلك فليس بوليّ لله تعالى ، وإن كان معه بعضٌ من الإيمان والتقوى كان فيه شيء من الولاية مع أننا لا نجزم لشخص بشيء بعينه". [٣٠]

فالمؤمنون كلهم أولياء الرحمن ... ، والولاية تكون كاملة وناقصة – فهي تزيد بالطاعة وتنقص بالمعصية– : فالكاملة تكون للمؤمنين المتقين كما قال تعالى: ﴿ أَلَا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ * الَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ ﴾ (يونس/٦٢–٦٣) ، والولاية لمن كان من الذين آمنوا وكانوا يتقون، وهم أهل الوعد المذكور في الآيات .

والولاية عبارة عن موافَقَة الولي الحميد في محابه ومساخطه ، و على هذا تجتمع في المؤمن ولاية من وجه ، وعداوة من وجه ، كما قد يكون فيه كفر وإيمان ، وشرك وتوحيد ، وتقوى وفجور ، ونفاق وإيمان.[٣١]

يقول شيخ الاسلام ابن تيمية:
"وأما الظالم لنفسه من أهل الإيمان : فمعه من ولاية الله بقدر إيمانه وتقواه ، كما معه من ضد ذلك بقدر فجوره، إذ الشخص الواحد قد يجتمع فيه الحسنات المقتضية للثواب ، والسيئات المقتضية للعقاب ، حتى يمكن أن يثاب ويعاقب ، وهذا قول جميع أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وأئمة الإسلام وأهل السنة والجماعة الذين يقولون : إنه لا يخلد في النار من في قلبه مثقال ذرة من إيمان ". [٣٢]

---

[٢٩] انظر عقيدة المؤمن لأبي بكر الجزائري (١٠٢)

[٣٠] فتاوى مهمة لعموم الأمة للشيخ محمد بن صالح العثيمين (٨٤)

[٣١] انظر شرح العقيدة الطحاوية لابن أبي العز الحنفي (٥٤٦/٢)

[٣٢] انظر مجموع الفتاوى (٦/١–٧)، (٦/١٠) ، وانظر طريق الهجرتين وباب السادتين لابن القيم (١٩٩)

وفي هذا بشارة لكل مؤمن موحد وترغيب له في الطاعات إذ هو مشمول في مسمى أولياء الرحمن وحزب الله المفلحون مما يدعوه للاجتهاد في عمل الطاعات ومجاهدة نفسه لترك المنكرات .

القاعدة الثالثة: لا تنال الولاية بالوراثة ولا بالنسب :

الولاية ليست حكرا على أحد ، وليست علامة مميزة لطبقة معينة من الناس ، ولا تنال بالوراثة ولا بالنسب، بل هي مرتبة في الدين عظيمة تبدأ بالايمان بالله وامتلاء القلب بمحبته وتعظيمه وخوفه ورجائه عز وجل وتقواه ، وتترجم إلى أعمال وطاعات ، فيكسب صاحبها حب الله تعالى وولايته ، إنها لا تنال إلا بالإيمان والتقوى.

قال ابن تيمية :" فأولياءُ الله هم المؤمنون المتَّقون، كما قال – تعالى –: ﴿ أَلَا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ * الَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ ﴾ (يونس/ ٦٢ – ٦٣)، وفي الحديثِ الصحيح الذي رواه البخاري وغيرُه عن أبي هريرة – رضي الله عنه – عن النبيِّ – صلَّى الله عليه وسلَّم – قال: (يقول الله تعالى: مَن عادَى لي وليًّا فقد بارَزني بالمحاربة – أو فقد آذنتُه بالحرْب – وما تقرَّب إليَّ عبدي بمثل أداء ما افترضتُ عليه، ولا يزال عبدي يتقرَّب إليَّ بالنوافل حتى أحبَّه، فإذا أحببتُه كنتُ سمعَه الذي يسمع به، وبصرَه الذي يُبصِر به، ويده التي يبطش بها، ورجلَه التي يمشي بها) – وفي رواية: (فبِي يسمع وبي يُبصِر، وبي يبطش وبي يمشي – ولئن سألني لأُعطينَّه، ولئن استعاذني لأُعيذنَّه، وما ترددتُ عن شيءٍ أنا فاعله تردُّدي عن قبْض نفْس عبدي المؤمن، يَكْره الموت وأكْره مساءتَه ولا بدَّ له منه)، وهذا أصحُّ حديث يُروَى في الأولياء، فبيَّن النبي – صلَّى الله عليه وسلَّم – أنَّه مَن عادى وليًّا لله فقد بارَز الله في المحاربة...

وروى البخاريُّ ومسلم في "صحيحيهما" عن عمرو بن العاص – رضي الله عنه – قال: سمعتُ رسولَ الله – صلَّى الله عليه وسلَّم – يقول جِهارًا من غير سِرٍّ: (إنَّ آل فلان ليسوا لي بأولياء – يعني: طائفة مِن أقاربه – إنما وليِّي الله وصالِح المؤمنين) [٣٣]، وهذا موافقٌ لقوله – تعالى –: ﴿ فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ مَوْلَاهُ وَجِبْرِيلُ وَصَالِحُ الْمُؤْمِنِينَ﴾ (التحريم/ ٤)، وَصَالِحُ الْمُؤْمِنِينَ هو من كان صالحا من المؤمنين. وهم المؤمنون المتقون أولياء الله، ودخل في ذلك أبو بكر وعمر وعثمان وعلي وسائر أهل بيعة الرضوان الذين بايعوا تحت الشجرة وكانوا ألفا وأربعمائة ، وكلهم في الجنة ، كما ثبت في الصحيح عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال:(لا يدخل النار أحد ممن بايع تحت الشجرة)[٣٤] ومثل الحديث الآخر:(إن أوليائي المتقون أياً كانوا وحيث كانوا) [٣٥]. "[٣٦]

---

[٣٣] صحيح البخاري (١٠/٣٥١)

[٣٤] صحيح مسلم رقم(٢٤٩٦).

[٣٥] مسند الامام أحمد(٥/٢٣٥) وصححه الألباني في صحيح الجامع برقم(٢٠٠٨)

[٣٦] الفرقان(٢/ ٥٣٨،٥٤٣).

فلا دخْلَ للقرابة في الولاية إنَّما هي متعلِّقة بالإيمان والتقوى، لذا نادى محمد صلى الله عليه وسلم أقاربه :أحباءه مؤكدا هذا الأمر فعَنْ أَبِى هُرَيْرَةَ قَالَ: لَمَّا أُنْزِلَتْ هَذِهِ الآيَةُ ﴿ وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الأَقْرَبِينَ﴾ دَعَا رَسُولُ اللَّهِ –صلى الله عليه وسلم– قُرَيْشًا فَاجْتَمَعُوا فَعَمَّ وَخَصَّ فَقَالَ:(يَا بَنِى كَعْبِ بْنِ لُؤَىٍّ أَنْقِذُوا أَنْفُسَكُمْ مِنَ النَّارِ؛ يَا بَنِى مُرَّةَ بْنِ كَعْبٍ أَنْقِذُوا أَنْفُسَكُمْ مِنَ النَّارِ؛ يَا بَنِى عَبْدِ شَمْسٍ أَنْقِذُوا أَنْفُسَكُمْ مِنَ النَّارِ؛ يَا بَنِى عَبْدِ مَنَافٍ أَنْقِذُوا أَنْفُسَكُمْ مِنَ النَّارِ؛ يَا بَنِى هَاشِمٍ أَنْقِذُوا أَنْفُسَكُمْ مِنَ النَّارِ؛ يَا بَنِى عَبْدِ الْمُطَّلِبِ أَنْقِذُوا أَنْفُسَكُمْ مِنَ النَّارِ؛ يَا فَاطِمَةُ أَنْقِذِى نَفْسَكِ مِنَ النَّارِ؛ فَإِنِّى لاَ أَمْلِكُ لَكُمْ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا غَيْرَ أَنَّ لَكُمْ رَحِمًا سَأَبُلُّهَا بِبَلاَلِهَا)[٣٧] .

وعند البخاري في صحيحه : عَنْ أَبِى هُرَيْرَةَ قَالَ: قام رسول الله صلى الله عليه وسلم حين أنزل الله عز وجل: ﴿وأنذر عشيرتك الأقربين ﴾ . قال : (يا معشر قريش – أو كلمة نحوها – اشتروا أنفسكم ، لا أغني عنكم من الله شيئا ، يا بني مناف لا أغني عنكم من الله شيئا ، يا عباس بن عبد المطلب لا أغني عنك من الله شيئا ، ويا صفية عمة رسول الله لا أغني عنك من الله شيئا ، ويا فاطمة بنت محمد ، سليني ما شئت من مالي، لا أغني عنك من الله شيئا) [٣٨] .

يقول ابن رجب رحمه الله :

" وأصل الموالاة القرب ، وأصل المعاداة البعد ، فأولياء الله هم الذين يتقربون إليه بما يقربهم منه ، وأعداؤه الذين أبعدهم منه بأعمالهم المقتضية لطردهم وإبعادهم منه "[٣٩] .

ليست الولاية – إذًا – تركة يتوارثها الأبناء ، ولكنها منهج واضح وصراط مستقيم ، تولى الله بيانها في كتابه العزيز في قوله تعالى : ﴿إن أولياؤه إلا المتقون﴾ وقوله عز وجل : ﴿الذين آمنوا وكانوا يتقون﴾ ، وبينها أيضا في حديث قدسي شريف ، فقد روى أبو هريرة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما يرويه عن ربه عز وجل أنه قال : (من عادى لي ولياً فقد آذنته بالحرب ، وما تقرب إليّ عبدي بشيءٍ أحب إليّ مما افترضته عليه ، وما يزال عبدي يتقرب إليّ بالنوافل حتى أحبه ...).

فالقرآن الكريم والسنة المطهرة وضحت الطريق إلى ولاية الله ، وهو الايمان والتقوى والذي لا يكون إلا بالمحافظة على فرائض الله تعالى والحرص على نوافله ، وعلى هذا فمن أدعى أن هناك طريقاً يوصل إلى ولاية الله سوى طاعته بما شرع على لسان رسوله صلى الله عليه وسلم فهو كاذب مبتدع مكذب لنصوص الكتاب والسنة.

يقول شيخ الإسلام في هذا الصدد : " فولي الله من والاه بالموافقة له في محبوباته ومرضياته ، وتقرب إليه بما أمر به من طاعته " . [٤٠]

---

[٣٧] صحيح مسلم رقم(٢٠٤) ، وأحمد (٨٤٠٢)(٨٧٢٦)(١٠٧٢٥)

[٣٨] صحيح البخاري رقم(٢٧٥٣).

[٣٩] جامع العلوم والحكم (٣٤٠/٢)

[٤٠] مجموعة الرسائل والمسائل (٥٠/١).

والعجب وأننا في عصر العلم نجد أن الصوفية ومن ماثلهم من أهل البدعة يدعون أن الولاية بيد الأولياء الكبار يعطونها لمن شاءوا :

يقول أبو الفيض المنوفي الصوفي:"وكل هذه الطرق تنسب كل واحدة لولي من الأولياء رضي الله عنهم، وقد يرثها حفيد أو سبط لولي من أولئك الأولياء فيكرمه الله سبحانه وتعالى بكرامة آبائه وأجداده الصالحين، فإن سار على دربهم أكرمه الله مثل ما أكرمهم، وإن فرط أو قصر أكرمه الله لأجلهم".[٤١]

فليتذكر هؤلاء الجهال المبتدعة قول الله تعالى لنبيه ومصطفاه: ﴿ إنك لا تهدي من أحببت ولكن الله يهدي من يشاء ﴾ (القصص/ ٥٦) .

وصدق من قال:

أَلاَ إِنَّمَا التَّقْوَى هِيَ العِزُّ وْالْكَرَمُ
فَلاَ تَتْرُكِ التَّقْوَى اتِّكَالاً عَلَى النَّسَبْ
فَقَدْ رَفَعَ الْإِسْلاَمُ سَلْمَانَ فَارِسٍ
وَقَدْ وَضَعَ الشِّرْكُ النَّسَيبَ أَبَا لَهَبْ .

القاعدة الرابعة : لا تثبت الولاية و لا تصح إلا لمن يصح إيمانه وتصح عباداته:

لا تصح الولاية إلا لمن يصح ايمانه وتصح عباداته ؛ فلا ولاية لصبي أو مجنون ولا لكافر أو منافق ؛ إذ أساس الولاية كما تقدم الايمان والتقوى ، فالمؤمنون المتقون هم أولياء الله.

فبقولنا "إلا من يصح ايمانه" يخرج الكافر والمنافق من وصف الولاية لإن ايمانهم لا يصح ، وفي هذا رد على كل من يثبت الولاية لأحد من الكافرين أو المنافقين لما يرى على أيديهم من خوارق العادات ، وهذا باطل قطعا فهم أولياء للشيطان وخوارقهم خوارق شيطانية لا كرامات رحمانية.

وقولنا :" لا تصح الولاية إلا لمن تصح عباداته" ؛ يخرج ولاية غير المكلفين ممن رفع الشارع عنهم القلم مثل الصبي والمجنون ، وهذا رد على الصوفية الذين يدعون الولاية لبعض المجانين والصبيان.

قال شيخ الاسلام ابن تيمية :" وإذا كان العبد لا يكون ولياً لله إلا إذا كان مؤمناً تقياً، لقوله تعالى: ﴿ أَلا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ لا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلا هُمْ يَحْزَنُونَ (٦٢) الَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ (٦٣) ﴾ (يونس)، وفي صحيح البخاري، الحديث المشهور – وقد تقدم- يقول الله –تبارك وتعالى – فيه: (ولا يزال عبدي يتقرب إلي بالنوافل حتى أحبه)، ولا يكون مؤمناً تقياً حتى يتقرب إلى الله بالفرائض فيكون من الأبرار أهل اليمين، ثم بعد ذلك لا يزال يتقرب بالنوافل حتى يكون من السابقين المقربين، فمعلوم أن أحد من الكفار والمنافقين لا يكون ولياً لله.

---

[٤١] انظر فرق معاصرة لعواجي (٣/٨٩٥، ١٠١٥)، ومن أمثلة أقوال الصوفية على ذلك قول الدباغ : " يقدر الولي على أن يكلم أحدًا في أذنه ولا يقوم عنه حتى يكون هو والولي في المعارف على حدٍ سواء ".وقول ابن ضيف الله في ترجمة موسى ولد يعقوب : "كان يهدي الخلق ويوصلهم إلى درجات الأولياء بمجرد النظر ، وكان إذا نظر إلى الأعرابي الجلف ينطق بالحكمة ، وأرشد خلقاً كثيراً بمجرد النظر "انظر: الإبريز (١٧٥)،طبقات ابن ضيف الله (٣٢٥)

وكذلك من لا يصح إيمانه وعباداته، وإن قدر أنه لا إثم عليه مثل أطفال الكفار ومن لم تبلغه الدعوة وإن قيل إنهم لا يعذبون حتى يرسل إليهم رسول، فلا يكونون من أولياء الله إلا إذا كانوا من المؤمنين المتقين فمن لم يتقرب إلى الله لا بفعل الحسنات ولا بترك السيئات لم يكن من أولياء الله. وكذلك المجانين والأطفال، فإن النبي صلى الله عليه وسلم، قال: (رفع القلم عن ثلاثة: عن المجنون حتى يفيق، وعن الصبي حتى يحتلم، وعن النائم حتى يستيقظ). وهذا الحديث قد رواه أهل السنن من حديث علي وعائشة -رضي الله عنهما- واتفق أهل المعرفة على تلقيه بالقبول. لكن الصبي المميز تصح عبادته ويثاب عليها عند جمهور العلماء. وأما المجنون الذي رفع عنه القلم فلا يصح شيء من عباداته باتفاق العلماء. ولا يصح منه إيمان ولا كفر ولا صلاة ولا غير ذلك من العبادات، بل لا يصلح هو عند عامة العقلاء لأمور الدنيا كالتجارة والصناعة. فلا يصلح أن يكون بزازاً ولا عطاراً ولا حداداً ولا نجاراً ولا تصح عقوده باتفاق العلماء. فلا يصح بيعه ولا شراؤه ولا نكاحه ولا طلاقه ولا إقراراه ولا شهادته. ولا غير ذلك من أقواله بل أقواله - كلها- لغو لا يتعلق بها حكم شرعي ولا ثواب ولا عقاب. بخلاف الصبي المميز فإن له أقوالاً معتبرة في مواضع بالنص والإجماع وفي مواضع فيها نزاع.

وإذا كان المجنون لا يصح منه الإيمان ولا التقوى ولا التقرب إلى الله بالفرائض والنوافل وامتنع أن يكون ولياً فلا يجوز لأحد أن يعتقد أنه ولي الله، لاسيما أن تكون حجته على ذلك إما مكاشفة سمعها منه أو نوع من تصرف مثل أن يراه قد أشار إلى واحد فمات أو صرع، فإنه قد علم أن الكفار والمنافقين - من المشركين وأهل الكتاب- لهم مكاشفات وتصرفات شيطانية كالكهان والسحرة وعباد المشركين وأهل الكتاب، فلا يجوز لأحد أن يستدل بمجرد ذلك على كون الشخص ولياً لله وإن لم يعلم منه ما يناقض ولاية الله، فكيف إذا علم منه ما يناقض ولاية الله، مثل أن يعلم أنه لا يعتقد وجوب اتباع النبي صلى الله عليه وسلما باطناً وظاهراً بل يعتقد أنه يتبع الشرع الظاهر دون الحقيقة الباطنة، أو يعتقد أن لأولياء الله طريقاً إلى الله غير طريق الأنبياء عليهم السلام. أويقول: إن الأنبياء ضيقوا الطريق أو هم على قدوة العامة دون الخاصة ونحو ذلك مما يقوله بعض من يدعي الولاية فهؤلاء فيهم من الكفر ما يناقض الإيمان. فضلاً عن ولاية الله عز وجل. فمن احتج بما يصدر عن أحدهم من خرق عادة على ولايتهم كان أضل من اليهود والنصارى...

فعلى هذا فمن أظهر الولاية وهو لا يؤدي الفرائض ولا يجتنب المحارم - بل قد يأتي بما يناقض ذلك - لم يكن لأحد أن يقول: هذا ولي لله، فإن هذا إن لم يكن مجنوناً بل كان متولهاً من غير جنون ؛ أو كان يغيب عقله بالجنون تارة ويفيق أخرى ؛ وهو لا يقوم بالفرائض بل يعتقد أنه لا يجب عليه اتباع الرسول صلى الله عليه وسلم فهو كافر، وإن كان مجنوناً باطناً وظاهراً قد ارتفع عنه القلم، فهذا وإن لم يكن معاقباً عقوبة الكافرين فليس هو مستحقاً لما يستحقه أهل الإيمان والتقوى من كرامة الله عز وجل ، فلا يجوز على التقديرين أن يعتقد فيه أحد أنه ولي لله."[٤٢]

---

[٤٢] انظر الفرقان لابن تيمية (٢/ ٥٦٦– ٥٦٩) ، وانظر شرح العقيد الطحاوية لابن أبي العز الحنفي(٢/٧٧١،٧٦٩)

المطلب الثاني : ما يجب وما يمتنع في حق أولياء الله ، وفيه عشرة قواعد :

القاعدة الأولى : الأولياء متفاضلون بحسب تفاضلهم في الإيمان والتقوى .

القاعدة الثانية : لا سبيل لحصر عدد الأولياء ، ولا تقييدهم بزمان، ولا بمكان ، ولا تمييزهم بلباس.

القاعدة الثالثة : الأولياء من غير الأنبياء ليسوا بمعصومين .

القاعدة الرابعة : لا طاعة واجبة لأحد من الأولياء خلا الأنبياء .

القاعدة الخامسة : لا يجوز صرف أي نوع من أنواع العبادة لغير الله حتى لو كان نبيّاً أو ولياًَّ، ولا تقديسه حيًا أو ميتًا.

القاعدة السادسة: الولاية لا تبيح لصاحبها فعل المحرمات ولا ترك الواجبات.

القاعدة السابعة: ليس للأولياء قدرات إلا ما أعطوا من الكرامات .

القاعدة الثامنة : ليس من شرط الولي أن يعطى كرامة ، وليست الكرامات مقياسا للتفضيل بين الأولياء .

القاعدة التاسعة : إن حصول خوارق العادات ليس دليلا على الولاية .

القاعدة العاشرة : الواجب إعطاء الولي حقه من غير غلو ولا جفاء.

وهذا شرح وبيان لهذه القواعد:

القاعدة الأولى: الأولياء متفاضلون بحسب تفاضلهم في الإيمان والتقوى :

لما كان أساس الولاية الإيمان والتقوى والذي هو يزيد بالطاعة وينقص بالمعصية ، صارت الولاية تتفاوت بحسب إيمان العبد وتقواه ، فكل مؤمن له نصيب من ولاية الله ومحبته وقربه ، ولكن هذا النصيب يتفاوت بحسب الأعمال الصالحة التي يتقرب بها إلى الله .

يقول شيخ الاسلام ابن تيمية:

"وإذا كان أولياء الله هم المؤمنين المتقين ، فبحسب إيمان العبد وتقواه تكون ولايته لله تعالى ، فمن كان أكمل إيمانا وتقوى، كان أكمل ولاية لله، فالناس متفاضلون في ولاية الله عز وجل بحسب تفاضلهم في الإيمان والتقوى."[٤٣]

"وأولياء الله على طبقتين: سابقون مقرَّبون وأصحاب يمين مقتصدون. ذكرهم الله في عدة مواضع من كتابه العزيز في أول سورة الواقعة وآخرها، وفي سورة الإنسان، والمطففين وفي سورة فاطر فإنه –سبحانه وتعالى– ذكر في الواقعة القيامة الكبرى في أولها وذكر القيامة الصغرى في آخرها، فقال في أولها:﴿ إِذَا وَقَعَتْ الْوَاقِعَةُ (١) لَيْسَ لِوَقْعَتِهَا كَاذِبَةٌ (٢) خَافِضَةٌ رَافِعَةٌ (٣) إِذَا رُجَّتْ الأَرْضُ رَجّاً (٤) وَبُسَّتْ الْجِبَالُ بَسّاً (٥) فَكَانَتْ هَبَاءً مُنْبَثّاً (٦) وَكُنتُمْ أَزْوَاجاً ثَلاثَةً (٧) فَأَصْحَابُ الْمَيْمَنَةِ مَا أَصْحَابُ الْمَيْمَنَةِ (٨) وَأَصْحَابُ الْمَشْئَمَةِ مَا أَصْحَابُ الْمَشْئَمَةِ (٩) وَالسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ (١٠) أُوْلَئِكَ الْمُقَرَّبُونَ (١١) فِي جَنَّاتِ النَّعِيمِ (١٢) ثُلَّةٌ مِنْ الأَوَّلِينَ (١٣) وَقَلِيلٌ مِنْ الآخِرِينَ (١٤)﴾ (الواقعة: ١-١٤).

فهذا تقسيم الناس إذا قامت القيامة الكبرى التي يجمع الله فيها الأولين والآخرين كما وصف الله –سبحانه– ذلك في كتابه في غير موضع . ثم قال تعالى في آخر السورة: فلولا، أي: فهلا، ﴿فَلَوْلا إِذَا بَلَغَتْ الْحُلْقُومَ (٨٣) وَأَنْتُمْ حِينَئِذٍ تَنظُرُونَ (٨٤) وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْكُمْ وَلَكِنْ لا تُبْصِرُونَ (٨٥) فَلَوْلا إِنْ كُنتُمْ غَيْرَ مَدِينِينَ (٨٦) تَرْجِعُونَهَا إِنْ كُنتُمْ صَادِقِينَ (٨٧) فَأَمَّا إِنْ كَانَ مِنْ الْمُقَرَّبِينَ (٨٨) فَرَوْحٌ وَرَيْحَانٌ وَجَنَّةُ نَعِيمٍ (٨٩) وَأَمَّا إِنْ كَانَ مِنْ أَصْحَابِ الْيَمِينِ (٩٠) فَسَلامٌ لَكَ مِنْ أَصْحَابِ الْيَمِينِ (٩١) وَأَمَّا إِنْ كَانَ مِنْ الْمُكَذِّبِينَ الضَّالِّينَ (٩٢) فَنُزُلٌ مِنْ حَمِيمٍ (٩٣) وَتَصْلِيَةُ جَحِيمٍ (٩٤) إِنَّ هَذَا لَهُوَ حَقُّ الْيَقِينِ (٩٥) فَسَبِّحْ بِاسْمِ رَبِّكَ الْعَظِيمِ (٩٦)﴾ (الواقعة: ٨٣-٩٦). وقال تعالى:﴿ إِنَّا هَدَيْنَاهُ السَّبِيلَ إِمَّا شَاكِراً وَإِمَّا كَفُوراً (٣) إِنَّا أَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ سَلاسِلاً وَأَغْلالاً وَسَعِيراً (٤) إِنَّ الأَبْرَارَ يَشْرَبُونَ مِنْ كَأْسٍ كَانَ مِزَاجُهَا كَافُوراً (٥) عَيْناً يَشْرَبُ بِهَا عِبَادُ اللَّهِ يُفَجِّرُونَهَا تَفْجِيراً (٦) يُوفُونَ بِالنَّذْرِ وَيَخَافُونَ يَوْماً كَانَ شَرُّهُ مُسْتَطِيراً (٧) وَيُطْعِمُونَ الطَّعَامَ عَلَى حُبِّهِ مِسْكِيناً وَيَتِيماً وَأَسِيراً (٨) إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ اللَّهِ لا نُرِيدُ مِنْكُمْ جَزَاءً وَلا شُكُوراً (٩) إِنَّا نَخَافُ مِنْ رَبِّنَا يَوْماً عَبُوساً قَمْطَرِيراً (١٠) فَوَقَاهُمْ اللَّهُ شَرَّ ذَلِكَ الْيَوْمِ وَلَقَّاهُمْ نَضْرَةً وَسُرُوراً (١١) وَجَزَاهُمْ بِمَا صَبَرُوا جَنَّةً وَحَرِيراً (١٢)﴾ (الإنسان: ٣-١٢). وكذلك ذكر في سورة المطففين، فقال: ﴿كَلاَّ إِنَّ كِتَابَ الفُجَّارِ لَفِي سِجِّينٍ (٧) وَمَا أَدْرَاكَ مَا سِجِّينٌ (٨) كِتَابٌ مَرْقُومٌ (٩) وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ (١٠) الَّذِينَ يُكَذِّبُونَ بِيَوْمِ الدِّينِ (١١) وَمَا يُكَذِّبُ بِهِ إِلاَّ كُلُّ مُعْتَدٍ أَثِيمٍ (١٢) إِذَا تُتْلَى عَلَيْهِ آيَاتُنَا قَالَ أَسَاطِيرُ الأَوَّلِينَ (١٣) كَلاَّ بَلْ رَانَ عَلَى قُلُوبِهِمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ (١٤) كَلاَّ إِنَّهُمْ عَنْ رَبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَمَحْجُوبُونَ (١٥) ثُمَّ إِنَّهُمْ لَصَالُوا الْجَحِيمِ (١٦) ثُمَّ يُقَالُ هَذَا الَّذِي كُنتُمْ بِهِ تُكَذِّبُونَ (١٧) كَلاَّ إِنَّ كِتَابَ الأَبْرَارِ لَفِي عِلِّيِّينَ (١٨) وَمَا أَدْرَاكَ مَا عِلِّيُّونَ (١٩) كِتَابٌ مَرْقُومٌ (٢٠) يَشْهَدُهُ الْمُقَرَّبُونَ (٢١) إِنَّ الأَبْرَارَ لَفِي نَعِيمٍ (٢٢) عَلَى الأَرَائِكِ يَنظُرُونَ (٢٣) تَعْرِفُ فِي وُجُوهِهِمْ نَضْرَةَ

---

[٤٣] الفرقان (٥٥٣/٢).

النَّعِيمِ (٢٤) يُسْقَوْنَ مِنْ رَحِيقٍ مَخْتُومٍ (٢٥) خِتَامُهُ مِسْكٌ وَفِي ذَلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ الْمُتَنَافِسُونَ (٢٦) وَمِزَاجُهُ مِنْ تَسْنِيمٍ (٢٧) عَيْناً يَشْرَبُ بِهَا الْمُقَرَّبُونَ (٢٨)﴾ (المطففين: ٧-٢٨).

و السابقون المقربون : وهم الذين تقربوا إليه بالنوافل بعد الفرائض ، ففعلوا الواجبات والمستحبات وتركوا المحرمات والمكرهات فلما تقربوا إليه بجميع ما يقدرون عليه من محبوباتهم أحبهم الرب حباً تاماً كما قال تعالى (ولا يزال عبدي يتقرب إلي بالنوافل حتى أحبه) .

وأصحاب اليمين المقتصدون : فهم المتقربون إليه بالفرائض يفعلون ما أوجب الله عليهم ويتركون ما حرم الله لايكلفون أنفسهم بالمندوبات ولا الكف عن فضول المباحات".[٤٤]

وقال في موضع آخر مبينا تفاضل الأولياء من أمة محمد صلى الله عليه وسلم ودرجاتهم:

" أما الأولياء من أمة محمد صلى الله عليه وسلم فقد قسموا إلى ثلاثة أصناف بتصنيف القرآن لهم في قوله تعالى من سورة فاطر: ﴿ ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ وَمِنْهُمْ مُقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌ بِالْخَيْرَاتِ بِإِذْنِ اللَّهِ ذَلِكَ هُوَ الْفَضْلُ الْكَبِيرُ(٣٢) جَنَّاتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِنْ ذَهَبٍ وَلُؤْلُؤًا وَلِبَاسُهُمْ فِيهَا حَرِيرٌ (٣٣) ﴾ ، فقُسّموا بنص الآية إلى ثلاثة أقسام : ظالم لنفسه ، مقتصد، سابقٌ بالخيرات ، وكلهم موعودون بدخول الجنة، وهذا خاص بأمة محمد صلى الله عليه وسلم .

فالظالم لنفسه من أمة محمد صلى الله عليه وسلم : العاصي بترك مأمور أو فعل محظور ، صاحب الذنب المصر عليه. أما المقتصد : فهو المؤدي لفرائض الله المجتنب لمحارمه . والسابق بالخيرات : المؤدي للفرائض والنوافل المجتنب للمحرمات و المكروهات ".[٤٥]

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية:

" الناس على ثلاث درجات : ظالم لنفسه ، ومقتصد ، وسابق بالخيرات .

فالظالم لنفسه : العاصي بترك مأمور أو فعل محظور .

والمقتصد : المؤدي الواجبات والتارك المحرمات .

والسابق بالخيرات : المتقرب بما يقدر عليه من فعل واجب ومستحب ، والتارك للمحرم والمكروه .

---

[٤٤] انظر مجموع فتاوى (١/٦-٧)، و الفرقان لابن تيمية (٢/٥٥٤-٥٦٢)

[٤٥] انظر قطر الولي على حديث الولي للإمام الشوكاني (٢٤٥-٢٤٦)، الفرقان لابن تيمية(٢/٥٦٠)

وإن كان كل من المقتصد والسابق قد يكون له ذنوب تمحى عنه : إما بتوبة – والله يحب التوابين ويحب المتطهرين – وإما بحسنات ماحية ، وإما بمصائب مكفرة ، وإما بغير ذلك . وكل من الصنفين المقتصدين والسابقين من أولياء الله الذين ذكرهم في كتابه بقوله : ﴿ ألا إن أولياء الله لا خوف عليهم ولا هم يحزنون * الذين آمنوا وكانوا يتقون﴾، فحد أولياء الله هم : المؤمنون المتقون .

ولكن ذلك ينقسم : إلى " عام " : وهم المقتصدون . و " خاص " وهم السابقون ، وإن كان السابقون هم أعلى درجات كالأنبياء والصديقين .

وقد ذكر النبي صلى الله عليه وآله وسلم القسمين في الحديث الذي رواه البخاري في صحيحه عن أبي هريرة رضي الله عنه ، عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال : (يقول الله : من عادى لي وليا فقد بارزني بالمحاربة ، وما تقرب إلي عبدي بمثل أداء ما افترضت عليه ، ولا يزال عبدي يتقرب إلي بالنوافل حتى أحبه ، فإذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به ، وبصره الذي يبصر به ، ويده التي يبطش بها ، ورجله التي يمشي بها ، فبي يسمع وبي يبصر ، وبي يبطش ، وبي يمشي ؛ ولئن سألني لأعطينه ، ولئن استعاذني لأعيذنه ، وما ترددت عن شيء أنا فاعله ترددي عن قبض نفس عبدي المؤمن ، يكره الموت وأكره مساءته ولا بد له منه) .

وأما الظالم لنفسه من أهل الإيمان : فمعه من ولاية الله بقدر إيمانه وتقواه ، كما معه من ضد ذلك بقدر فجوره ، إذ الشخص الواحد قد يجتمع فيه الحسنات المقتضية للثواب ، والسيئات المقتضية للعقاب ، حتى يمكن أن يثاب ويعاقب ، وهذا قول جميع أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وأئمة الإسلام وأهل السنة والجماعة الذين يقولون : إنه لا يخلد في النار من في قلبه مثقال ذرة من إيمان ". [٤٦]

وهناك ترتيب آخر لمراتب الأولياء:

العليا : مرتبة الأنبياء والمرسلين .

العالية : مرتبة السابقين المقربين من أتباع الرسل عليهم السلام وهم متفاوتون فيها تفاوت الرسل .

الوسطى : مرتبة أهل الإيمان من أصحاب اليمين المقتصدين .

دنيا : مرتبة أهل الضعف في الإيمان والتقوى وهم الظالمون لأنفسهم .

والمراتب على اختلافها يتفاوت أصحابها في العدد قلة وكثرة فكل مرتبة أقل عددًا مما تحتها وهذا أمر ظاهر.[٤٧]

ذكره الله تعالى في سورة الواقعة ﴿وَالسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ (١٠) أُوْلَئِكَ الْمُقَرَّبُونَ (١١) فِي جَنَّاتِ النَّعِيمِ (١٢) ثُلَّةٌ مِنْ الأَوَّلِينَ (١٣) وَقَلِيلٌ مِنْ الآخِرِينَ (١٤)﴾

---

[٤٦] مجموع الفتاوى (٦/١٠)

[٤٧] عقيدة المؤمن لأبي بكر الجزائري (١٠٤-١٠٥)

وقال تعالى عن أصحاب اليمين : ﴿لِأَصْحَابِ الْيَمِينِ (٣٨) ثُلَّةٌ مِنَ الْأَوَّلِينَ (٣٩) وَثُلَّةٌ مِنَ الْآخِرِينَ (٤٠)﴾ ، فكل مرتبة ودرجة من الولاية هي أقل عددا ممن دونها.

القاعدة الثانية : لا سبيل لحصر عدد الأولياء ، ولا تقييدهم بزمان، ولا بمكان ، ولا تمييزهم بلباس :

لا سبيل لحصر عدد الأولياء ولا تحديدهم بزمان دون زمان، ولا تقييدهم بسكنى مكان دون مكان، ولا تمييزهم بلباس دون لباس ، وإن كانوا أحرص الناس على إتباع السنة في ذلك.

يقول شيخ الاسلام ابن تيمية: " ليس لأولياء الله شيء يتميزون به عن الناس في الظاهر من الأمور المباحات فلا يتميزون بلباس دون لباس إذا كان كلاهما مباحًا ، ولا بحلق شعر أو تقصيره إذا كان مباحًا ، كما قيل : كم من صديق في قباء ، وكم من زنديق في عباء ، بل يوجدون في جميع أصناف أمة محمد صلى الله عليه وسلم إذا لم يكونوا من أهل البدع الظاهرة والفجور .

وشخص الولي عامًا في أي طائفة و أي جنس فقد أخبر القرآن الكريم بأن أساس الولاية الإيمان والتقوى . فيوجدون في أهل القرآن و أهل العلم ، ويوجدون في أهل الجهاد والسيف، ويوجدون في التجار والصنّاع والزراع ... "[٤٨] .

فلا سبيل لحصر أصناف الأولياء فمن كان أتقى لله فهو أكرم عند الله وإذا استويا في التقوى استويا في الدرجة . إذ الطريق إلى الولاية أداء الفرائض والتقرب بالنوافل ، فليس في الإسلام تحديد الولاية بالنسبة إلى شخص أو نسب أو طائفة إلا ما نص عليه القرآن الكريم أو السنة النبوية كما في جانب الصحابة رضوان الله عليهم والعشرة المبشرين بالجنة، ومن انطبقت عليه أركان الولاية (الإيمان و التقوى) فهو ولي لله بينه وبين الله ولا يجوز إطلاق ذلك على نفسه .[٤٩]

فتحديد الأفضلية بالاسم لا يكون إلا لصحابة الرسول صلى الله عليه وسلم بنص الحديث (خير الناس قرني ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم ...) ،[٥٠] فهم خير الأمم في سائر الأمة المحمدية مثل الصحابة الكرام في الفضل، فقد قال صلى الله عليه وسلم كما ورد في الصحيحين من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه:(لا تسبوا أصحابي فو الذي نفسي بيده لو أن أحدكم أنفق مثل أحد ذهبًا ما أدرك مد أحدهم ولا نصيفه)،[٥١] والمراد النهي عن حصول السب لهم مطلقًا .

---

[٤٨] مجموع الفتاوى (١١/١٩٤-١٩٦) ، وانظر تبليس ابليس لابن الجوزي وحكايته عن بدع الصوفية واعتقادهم في الأولياء ولاباسهم وطعامهم (٢١٧-٢٧٠).

[٤٩] قطر الولي على حديث الولي (من مقدمة التحقيق ١٢٠)

[٥٠] صحيح البخاري ،كتاب الشهادات، باب لا يشهد على شهادة زور إذا شهد حديث ٢٦٥٢

[٥١] صحيح البخاري ،كتاب أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم ، باب قول النبي صلى الله عليه وسلم لو كنت متخذا خليلا حديث ٣٦٧٣، و صحيح مسلم ،كتاب فضائل الصحابة، باب تحريم سب الصحابة رضي الله عنهم حديث٢٥٤٠

كما أنه ليس لعباد الله الصالحين و أوليائه المتقين عددٌ معين ، لا أربعة ولا سبعة ولا اثنا عشر ولا أربعون ولا ثلاث مئة وثلاث عشر ، بل يكثرون تارة ويقلون أخرى . و قد كان حين بعث الله محمد صلى الله عليه وسلم في أول الأمر من أقل الناس ثم أنه بعد هذا انتشر الإيمان .[٥٢]

وكل حديث يروى عن النبي صلى الله عليه وسلم في عدة الأولياء و الأبدال والنقباء والنجباء و الأوتاد والأقطاب فليس في ذلك شيء صحيح عن النبي صلى الله عليه ولم ينطق السلف بشيء من هذه الألفاظ إلا بلفظ الأبدال روى فيهم حديث أنهم أربعون رجلًا و أنهم بالشام وهو في المسند من حديث علي رضي الله عنه وهو حديث منقطع ليس بثابت .[٥٣]

فليس للأولياء عدد معين ، ولا لباس ، ولا مكان ، ولا اسم معين ، ولا أن وجودهم مقصور على زمن معين، فما دام الإيمان باق في الأرض، والمؤمنون المتقون موجودون عاملون بالشريعة والدين ؛ فالولاية باقية ، والأولياء موجودون حتى يرفع الإيمان من الأرض قرب قيام الساعة كما ورد في الحديث من الريح الطيبة التي تقبض أرواح المؤمنين فلا يبقى إلا شرار الخلق وعليهم تقوم الساعة.[٥٤]

القاعدة الثالثة : الأولياء من غير الأنبياء ليسوا بمعصومين :

قضت نصوص الكتاب و السنة بالعصمة للأنبياء فيما يتعلق بالرسالة والتبليغ و العصمة من الكبائر، ومن الإصرار والاقرار على الصغائر ، ولكن تقع منهم الهفوات واللمم بما لا يؤثر على نبوتهم ورسالتهم ومع ذلك يسارعون بالتوبة والاستغفار .[٥٥]

وأولياء الله من غير الأنبياء ليسوا بمعصومين، و ليس من شرط الولي أن يكون معصوما ، بل يجوز عليهم ما يجوز على سائر العباد المؤمنين ولكنهم قد صاروا في رتبة رفيعة ومنزلة عليّة فقل منهم ما يخالف الصواب وينافي الحق ، ولكن إذا وقع منهم ذلك فلا يخرجهم عن كونهم أولياء لله تعالى ، فقد تجاوز الله سبحانه لهذه الأمة الخطأ والنسيان كما قال تعالى :﴿ رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَا إِنْ نَسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا ﴾ (البقرة:٢٨٦).

ومن تمسك بحديث (فإذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به وبصره الذي يبصر به ويده التي يبطش بها ...)[٥٦] فلا وجه له في العصمة .

---

[٥٢] جامع المسائل لابن تيمية ، تحقيق : محمد عزيز شمس (٧١/١).

[٥٣] مجموع الفتاوى (١٦٧/١١)، وانظر أقوال أهل البدعة من الصوفية في الأوتاد الأربعة والأقطاب السبعة والنجباء الأربعون : فرق معاصرة لغالب عواجي (١٠١٧/٣).

[٥٤] انظر النهاية في الفتن والملاحم لابن كثير(١٥٨/١) ،الإنصاف في حقيقة الأولياء للصنعاني(٥١)، موسوعة أحاديث الفتن وأشراط الساعة (٨٤٧)،القيامة الصغرى لعمر الأشقر(٢٧٨)

[٥٥] انظر مجموع الفتاوى (١٠/ ٢٩١-٢٩٥)(٣١٩/٤)، لوامع الأنوار البهية للسفاريني(٣٠٤/٢)

[٥٦] صحيح البخاري ،كتاب الرقاق ، باب التواضع حديث ٦٥٠٢

فالعصمة هي معنى خص الله سبحانه رسله وملائكته ، لمقام النبوة لا مقام الولاية ، والمراد من الحديث أن من وصل إلى مقام محبة الله بأداء الفرائض والإكثار من النوافل كان موفقًا في معظم أحواله ، لا أنه صار معصومًا من الخطأ أو أنه صار في درجة الأخذ من الله مباشرة .[٥٧]

والناس في عصمة الأولياء من غير الأنبياء على ثلاثة أصناف: طرفان ووسطان :

الأول : من إذا اعتقد في شخص أنه ولي لله ، فوافقه في كل ما يظن أنه حدث به قلبه عن ربه وسلم إليه جميع ما يفعله .

الثاني : من إذا رآه قد قال أو فعل ما ليس بموافق للشرع أخرجه عن ولاية الله و إن كان مجتهدًا مخطئًا .

الثالث : من لا يجعل الولي معصومًا ولا مأثومًا إن أخطأ أو اجتهد ، فلا يتبعه في كل ما يقوله ولا يجعله كافرًا فاسقًا مع اجتهاده ، بل ميزانه في اتباعه شرع الله (كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم) ...[٥٨]

يقول شيخ الإسلام مبينا هذه الآراء :-

" وليس من شرط ولي الله تعالى أن يكون معصوما لا يغلط ولا يخطئ بل يجوز إن يخفى عليه بعض علوم الشريعة ، ويجوز أن يشتبه عليه بعض أمور الدين حتى يحسب بعض الأمور مما أمر الله تعالى به ومما نهى عنه ، ثم قال: والناس في هذا الباب ثلاثة أصناف : طرفان ووسط ؛ فمنهم من إذا اعتقد في شخص أنه ولي الله تعالى وافقه في كل ما يظن انه حدثه به قلبه عن ربه ، وسلم إليه جميع ما يفعله.[٥٩] ومنهم من إذا رآه قد قال أو فعل ما ليس بموافق للشرع أخرجه من ولاية الله بالكلية وإن كان مجتهدا مخطئا ، وخيار الأمور أوساطها : وهو أن لا يجعل معصوما ولا مأثوماً إذا كان مجتهدا مخطئا ، فلا يتبع في كل ما يقوله ، ولا يحكم عليه بالكفر والفسوق مع اجتهاده... بل يعرض أمرهم وخبرهم على الكتاب والسنة فما وافق الكتاب والسنة وجب قبوله وما خالف الكتاب والسنة كان مردودا وإن كان صاحبه من أولياء الله وكان مجتهداً معذوراً فيما قاله ، له أجر على اجتهاده ولكنه إذا خالف الكتاب والسنة كان مخطئاً ، وكان من الخطأ المغفور إذا كان صاحبه قد اتقى الله ما أستطاع ، فإن الله تعالى يقول : ﴿فاتقوا الله ما أستطعتم ﴾ (التغابن/ ٣٦) ".[٦٠]

القاعدة الرابعة : لا طاعة واجبة لأحد من الأولياء خلا الأنبياء :

---

[٥٧] قطر الولي على حديث الولي ، مقدمة المحقق (١١١)

[٥٨] مجموع الفتاوى (٢٠٣/١١-٢١٠).

[٥٩] مثل غلاة الصوفية والرافضة

[٦٠] الفرقان (٥٧٧/٢-٥٨٣)، وانظر قول الروافض في عصمة أئمتهم: الحكومة الإسلامية للخميني(٩١).

قال ابن تيمية:" فالأولياء بخلاف الأنبياء لا تجب طاعتهم في كل ما يأمرون به ، و لا الإيمان بجميع ما يخبرون به ، بل يعرض أمرهم وخبرهم على الكتاب والسنة ، فما وافق الكتاب والسنة وجب قبوله وما خالفهما كان مردودًا و إن كان صاحبهما من أولياء الله .

وأولياء الله يجب عليهم الاعتصام بكتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم ، و أنه ليس فيهم معصوم يسوغ له أو لغيره اتباع ما يقع فيه قلبه من غير اعتبار بالكتاب والسنة ؛ هو مما اتفق عليه أولياء الله عز وجل ومن خالف هذا فليس من أولياء الله سبحانه الذين أمر الله بإتباعهم ، بل إما أن يكون كافرًا و إما أن يكون مفرطًا في الجهل .[٦١]

وقد ثبت أن لأولياء الله مخاطبات ومكاشفات فقد ثبت في الصحيحين عن الرسول صلى الله عليه وسلم أنه قال : (لقد كان فيما قبلكم من الأمم محدثون فإن يك في أمتي أحد فإنه عمر)[٦٢] ، وقد كان المسلمون ينازعونه فيما يقوله وهو وهم على الكتاب والسنة ، فقلب المحدث ليس بمعصوم ؛ يحتاج إلى العرض على الكتاب والسنة .

وأي أحد ادعى أنه ولي لله أو ادعى له أصحابه ذلك ، وأنه مخاطب يجب على أتباعه أن يقبلوا منه كل ما يقوله ، ولا يعارضوه ، ويسلموا له ، من غير اعتبار بالكتاب والسنة فهو وهم مخطئون ، ومثل هذا من أضل الناس وقد اتفق سلف الأمة و أئمتها على أن كل أحد يؤخذ على قوله ويترك إلا رسول الله صلى الله عليه وسلم."[٦٣]

وقال في موضع آخر رحمه الله:

" وقد اتفق سلف الأمة وأئمتها على أن كل أحد يؤخذ من قوله ويترك، إلا رسول الله صلى الله عليه وسلم. وهذا من الفروق بين الأنبياء وغيرهم، فإن الأنبياء صلوات الله عليهم وسلامه يجب لهم الإيمان بجميع ما يخبرون به عن الله عز وجل وتجب طاعتهم فيما يأمرون به، بخلاف الأولياء فإنهم لا تجب طاعتهم في كل ما يأمرون به ولا الإيمان بجميع ما يخبرون به، بل يعرض أمرهم وخبرهم على الكتاب والسنة فما وافق الكتاب والسنة وجب قوله وما خالف الكتاب السنة كان مردوداً، وإن كان صاحبه من أولياء الله وكان مجتهداً معذوراً فيما قاله له أجر على اجتهاده . لكنه إذا خالف الكتاب والسنة كان مخطئاً وكان من الخطأ المغفور إذا كان صاحبه قد اتقى الله ما استطاع...

---

[٦١] مجموع الفتاوى (٢١٠-٢٠٣/١١)

[٦٢] أخرجه البخاري في كتاب أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم باب مناقب عمر بن الخطاب رضي الله عنه حديث ٣٦٨٩

[٦٣] انظر مجموع الفتاوى (٢٠٨-٢٠٧/١١)

وقد ذكر الله سبحانه وتعالى الإيمان بما جاءت به الأنبياء في غير موضع، كقوله تعالى:﴿ قُولُوا آمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْنَا وَمَا أُنزِلَ إِلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَقَ وَيَعْقُوبَ وَالأَسْبَاطِ وَمَا أُوتِيَ مُوسَى وَعِيسَى وَمَا أُوتِيَ النَّبِيُّونَ مِنْ رَبِّهِمْ لا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ﴾ (البقرة: ١٣٦)...

وهذا الذي ذكرته من أن أولياء الله يجب عليهم الاعتصام بالكتاب والسنة وأنه ليس فيهم معصوم يسوغ له أو لغيره اتباع ما يقع في قلبه من غير اعتبار بالكتاب والسنة هو مما اتفق عليه أولياء الله عز وجل ، ومن خالف في هذا فليس من أولياء الله سبحانه الذي أمر الله بإتباعهم ، بل إما أن يكون كافراً وإما أن يكون مفرطاً في الجهل.

وهذا كثير في كلام المشايخ، كقول الشيخ أبي سليمان الداراني: إنه ليقع في قلبي النكتة من نكت القوم فلا أقبلها إلا بشاهدين :الكتاب والسنة. وقال أبو القاسم الجنيد رحمة الله عليه: علمنا هذا مقيد بالكتاب والسنة، فمن لم يقرأ القرآن ويكتب الحديث لا يصلح له أن يتكلم في علمنا أو قال: لا يقتدى به. وقال أبو عثمان النيسابوري: من أمَّر السنة على نفسه قولاً وفعلاً نطق بالحكمة، ومن أمَّر الهوى على نفسه قولاً وفعلاً نطق بالبدعة، لأن الله – تعالى – يقول في كلامه القديم ﴿وَإِنْ تُطِيعُوهُ تَهْتَدُوا﴾ (النور/٥٤). وقال أبو عمرو بن نجيد: كل وجد لا يشهد له الكتاب والسنة فهو باطل.

وكثير من الناس يغلط في هذا الموضع فيظن في شخص أنه ولي لله ويظن أن ولي الله يقبل منه كل ما يقوله ، ويسلم إليه كل ما يقوله ويسلم إليه كل ما يفعله وإن خالف الكتاب والسنة ، فيوافق ذلك الشخص له ويخالف ما بعث الله به رسوله الذي فرض الله على جميع الخلق تصديقه فيما أخبر وطاعته فيما أمر وجعله الفارق بين أوليائه وأعدائه وبين أهل الجنة وأهل النار وبين السعداء والأشقياء ؛ فمن اتبعه كان من أولياء الله المتقين وجنده المفلحين وعباده الصالحين ، ومن لم يتبعه كان من أعداء الله الخاسرين المجرمين ؛ فتجره مخالفة الرسول وموافقة ذلك الشخص أولاً إلى البدعة والضلال، وآخراً إلى الكفر والنفاق ، ويكون له نصيب من قوله تعالى: ﴿وَيَوْمَ يَعَضُّ الظَّالِمُ عَلَى يَدَيْهِ يَقُولُ يَا لَيْتَنِي اتَّخَذْتُ مَعَ الرَّسُولِ سَبِيلاً (٢٧) يَا وَيْلَتِي لَيْتَنِي لَمْ أَتَّخِذْ فُلاناً خَلِيلاً (٢٨) لَقَدْ أَضَلَّنِي عَنْ الذِّكْرِ بَعْدَ إِذْ جَاءَنِي وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِلإِنسَانِ خَذُولاً (٢٩)﴾ (الفرقان)، وقوله تعالى: ﴿يَوْمَ تُقَلَّبُ وُجُوهُهُمْ فِي النَّارِ يَقُولُونَ يَا لَيْتَنَا أَطَعْنَا اللَّهَ وَأَطَعْنَا الرَّسُولَ (٦٦) وَقَالُوا رَبَّنَا إِنَّا أَطَعْنَا سَادَتَنَا وَكُبَرَاءَنَا فَأَضَلُّونَا السَّبِيلَ (٦٧) رَبَّنَا آتِهِمْ ضِعْفَيْنِ مِنْ الْعَذَابِ وَالْعَنْهُمْ لَعْناً كَبِيراً (٦٨)﴾ (الأحزاب)، وقوله تعالى: ﴿وَمِنْ النَّاسِ مَنْ يَتَّخِذُ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَنْدَاداً يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ اللَّهِ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَشَدُّ حُبّاً لِلَّهِ وَلَوْ يَرَى الَّذِينَ ظَلَمُوا إِذْ يَرَوْنَ الْعَذَابَ أَنَّ الْقُوَّةَ لِلَّهِ جَمِيعاً وَأَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعَذَابِ (١٦٥) إِذْ تَبَرَّأَ الَّذِينَ اتُّبِعُوا مِنْ الَّذِينَ اتَّبَعُوا وَرَأَوْا

الْعَذَابَ وَتَقَطَّعَتْ بِهِمْ الأَسْبَابُ (١٦٦) وَقَالَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا لَوْ أَنَّ لَنَا كَرَّةً فَنَتَبَرَّأَ مِنْهُمْ كَمَا تَبَرَّءُوا مِنَّا كَذَلِكَ يُرِيهِمْ اللَّهُ أَعْمَالَهُمْ حَسَرَاتٍ عَلَيْهِمْ وَمَا هُمْ بِخَارِجِينَ مِنْ النَّارِ (١٦٧)﴾ (البقرة)

وهؤلاء مشابهون للنصارى الذين قال الله تعالى فيهم:﴿ اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَاباً مِنْ دُونِ اللَّهِ وَالْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ وَمَا أُمِرُوا إِلاَّ لِيَعْبُدُوا إِلَهاً وَاحِداً لا إِلَهَ إِلاَّ هُوَ سُبْحَانَهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ (التوبة/٣١).

وفي المسند: وصححه الترمذي، عن عدي بن حاتم في تفسير هذه الآية (لما سأل النبي صلى الله عليه وسلم عنها، فقال: ما عبدوهم، فقال النبي صلى الله عليه وسلم: أحلوا لهم الحرام وحرموا عليهم الحلال فأطاعوهم وكانت هذه عبادتهم إياهم)، ولهذا قيل في مثل هؤلاء: إنما حرموا الوصول بتضييع الأصول ، فإن أصل الأصول: تحقيق الإيمان بما جاء به الرسول صلى الله عليه وسلم، فلا بد من الإيمان بالله ورسوله، وبما جاء به الرسول صلى الله عليه وسلم ، فلا بد من الإيمان بأن محمداً رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى جميع الخلق إنسهم وجنهم وعربهم وعجمهم علمائهم وعبادهم ملوكهم وسوقتهم، وأنه لا طريق إلى الله عز وجل لأحد من الخلق إلا بمتابعته باطناً وظاهراً حتى لو أدركه موسى وعيسى وغيرهما من الأنبياء لوجب عليه اتباعه، كما قال تعالى:﴿ وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ النَّبِيِّينَ لَمَا آتَيْتُكُمْ مِنْ كِتَابٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِ وَلَتَنْصُرُنَّهُ قَالَ أَأَقْرَرْتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلَى ذَلِكُمْ إِصْرِي قَالُوا أَقْرَرْنَا قَالَ فَاشْهَدُوا وَأَنَا مَعَكُمْ مِنْ الشَّاهِدِينَ (٨١) فَمَنْ تَوَلَّى بَعْدَ ذَلِكَ فَأُوْلَئِكَ هُمْ الْفَاسِقُونَ (٨٢)﴾ (آل عمران)...

وكل من خالف شيئاً مما جاء به الرسول مقلداً في ذلك لمن يظن أنه ولي الله، فإنه بنى أمره على أنه ولي لله، وأن ولي الله لا يخالف في شيء ولو كان هذا الرجل من أكبر أولياء الله كأكبار الصحابة والتابعين لهم بإحسان لم يقبل منه ما خالف الكتاب والسنة، فكيف إذا لم يكن كذلك ."[٦٤]

القاعدة الخامسة : لا يجوز صرف أي نوع من أنواع العبادة لغير الله حتى لو كان نبيّاً أو ولياً ، ولا تقديسه حيًا أو ميتًا :

يقول الله تعالى: ﴿ إن الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء ومن يشرك بالله فقد ضل ضلالاً بعيداً * إن يدعون من دونه إلا إناثاً وإن يدعون إلا شيطاناً مريداً * لعنه الله وقال لأتخذن من عبادك نصيباً مفروضاً * ولأضلنهم ولأمنينهم ولآمرنهم فليبتكنّ آذان الأنعام ولآمرنهم فليغيرن خلق الله ومن يتخذ الشيطان ولياً من دون الله فقد خسر خسراناً مبيناً ﴾ (النساء / ١١٦ – ١١٩)

---

[٦٤] انظر الفرقان(٢/٥٨٣).

العبادة لله وحده : فلا يصلى إلا لله ولا يصام إلا لله ولا يحج إلا إلى بيت الله ، ولا تشد الرحال إلا إلى المساجد الثلاث ...، ولا ينذر إلا لله ولا يحلف إلا بالله ولا يدعى إلا لله ولا يستغاث إلا بالله .[٦٥]

والاستغاثة بالأموات وإنزال الحاجات بهم والتوسل إنما هي بدعة باقية من عبادة الأصنام ، فإن في الجاهلية كانوا يستغيثون بهم ويطلبون الحاجات منهم ، وكل بدعة ضلالة كما ورد في الأحاديث و أي ضلالة أعظم من عبد ينزل حاجاته بالأموات ويعرض عن باري البريات.[٦٦]

فقد علم كل عالم أن عبادة الكفار للأصنام لم تكن إلا بتعظيمها واعتقاد أنها تضر وتنفع ، والاستغاثة بها عند الحاجة والتقرب لها في بعض الحالات بجزء من أموالهم ، وهذا كله قد وقع من المعتقدين في القبور فإنهم قد عظموها إلى حد لا يمكن أن يكون إلا لله سبحانه ، بل ربما يترك العاصي منهم فعل المعصية إذا كان في مشهد من يعتقده أو قريبًا منه مخافة تعجيل العقوبة من ذلك الميت وربما لا يتركها إذا كان في حرم الله أو في مسجد من المساجد أو قريبًا من ذلك وربما حلف بعض غلاتهم بالله كذبًا ولا يحلف بالميت الذي يعتقده . [٦٧]

والمقصود أن الشيطان يحسّن الدعاء عند قبر الولي وأنه أرجح منه في بيته ومسجده و أوقات سحره ، فإذا تقرر ذلك عنده نقله درجة أخرى من الدعاء عنده إلى الدعاء به ، و الإقسام على الله به ، وهذا أعظم من الذي قبله فإن شأن الله أعظم من أن يقسم عليه أو يسأل بأحد من خلقه وقد أنكر أئمة الإسلام ذلك .

فإذا قرر الشيطان أن الإقسام على الله به والدعاء به أبلغ في تعظيمه واحترامه وأنجح في قضاء حاجته ، نقله درجة اخرى إلى دعاء نفسه من دون الله ، ثم ينقله بعد ذلك درجة اخرى إلى أن يتخذ قبر الولي وثنًا يعكف عليه ويوقد عليه القنديل ويعلق عليه الستور ويبني عليه المسجد ويعبده بالسجود له بالطواف به وتقبيله واستلامه والحج إليه والذبح عنده ، ثم ينقله درجة أخرى إلى دعاء الناس إلى عبادته واتخاذه عيدًا ومنسكًا وأن ذلك أنفع لهم في دنياهم وأخراهم.[٦٨]

ويجب أن يعلم أن ولاية الشخص وإيمانه وتقواه هي له وحده، فكونه وليا طائعا تقيا يظل بوصفه الأصلي عبدا لربه وخالقه ومولاه ، كما خلقه ربه بشريا ، لا ترقيه ولايته أبدا إلى درجة الألوهية، ولا تعطه قطعا حقا في الربوبية ، وكم في كتاب الله من آية تبين وتؤكد على بشرية خير الأولياء :الأنبياء ؛ عليهم الصلاة والسلام – فكيف بمن هم دونهم من الأولياء– واتصافهم بكل الصفات البشرية من أكل الطعام والمشي في الأسواق...كل صفات النقص والعجز البشري الذي ينافي بداهةً كمال الربوبية المستحق لكل الألوهية. قال تعالى حاكيا قول نبيه صلى الله عليه وسلم: ﴿قُلْ سُبْحَانَ رَبِّي هَلْ كُنْتُ إِلاَّ بَشَراً رَسُولاً﴾(الإسراء/ ٩٣)، وقال :﴿قُلْ إِنَّمَا أَنَا

---

[٦٥] قاعدة جليلة في التوسل والوسيلة لابن تيمية (١٨٦)

[٦٦] الإنصاف في حقيقة الأولياء للأمير محمد بن إسماعيل الصنعاني (٩٢)

[٦٧] الرسائل السلفية في إحياء سنة خير البرية للشوكاني (١٥٩) .

[٦٨] إغاثة اللهفان من مصايد الشيطان لابن القيم الجوزية (١/٢٣٤-٢٣٥)

بَشَرٌ مِثْلُكُمْ يُوحَى إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ فَمَنْ كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلاً صَالِحًا وَلاَ يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا﴾ (الكهف/ ١١٠)

وقال: ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ إِلاَّ رِجَالاً نُوحِي إِلَيْهِمْ فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لاَ تَعْلَمُونَ * وَمَا جَعَلْنَاهُمْ جَسَدًا لاَ يَأْكُلُونَ الطَّعَامَ وَمَا كَانُوا خَالِدِينَ ﴾ (الأنبياء/ ٧-٨)

وقال تعالى في سورة المائدة: ﴿ لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ وَقَالَ الْمَسِيحُ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ اعْبُدُوا اللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ إِنَّهُ مَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ وَمَأْوَاهُ النَّارُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنْصَارٍ (٧٢) لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ ثَالِثُ ثَلَاثَةٍ وَمَا مِنْ إِلَهٍ إِلَّا إِلَهٌ وَاحِدٌ وَإِنْ لَمْ يَنْتَهُوا عَمَّا يَقُولُونَ لَيَمَسَّنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ (٧٣) أَفَلَا يَتُوبُونَ إِلَى اللَّهِ وَيَسْتَغْفِرُونَهُ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ (٧٤) مَا الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ وَأُمُّهُ صِدِّيقَةٌ كَانَا يَأْكُلَانِ الطَّعَامَ انْظُرْ كَيْفَ نُبَيِّنُ لَهُمُ الْآَيَاتِ ثُمَّ انْظُرْ أَنَّى يُؤْفَكُونَ (٧٥) قُلْ أَتَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَمْلِكُ لَكُمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا وَاللَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ (٧٦)﴾ .

فلا يجوز صرف أي نوع من أنواع العبادة لغير الله حتى لو كان نبيّاً أو ولياً ، ولا تقديسه حيًا أو ميتًا ، فالعبادة لله وحده.

القاعدة السادسة : الولاية لا تبيح لصاحبها فعل المحرمات ولا ترك الواجبات:

الولي لابد له أن يقتدي في أقواله و أفعاله بالكتاب والسنة ، لأن ذلك هو المعيار الذي يُعرف به الحق من الباطل ، فمن ظهر عليه شيء مما يخالف هذا المعيار فهو رد عليه ولا يجوز لأحد أن يعتقد فيه أنه ولي لله.[٦٩]

يقول شيخ الاسلام ابن تيمية:

"فولي الله لا يخالف أمر الله ، ولا تقبل منه مخالفته الكتاب والسنة ، وقد يجعل البعض العمدة في الولاية المكاشفة في بعض الأمور أو بعض التصرفات الخارقة للعادة مثل : أن يشير إلى شخص فيموت أو يطير في الهواء إلى مكة ... وليس في شيء من هذه الأمور ما يدل على أن صاحبها ولي لله، بل الضابط متابعته لرسول الله صلى الله عليه وسلم وموافقته لأمره ونهيه ، قد تكون هذه الأمور الخارقة للعادة من عدو لله من عند الشيطان فهذه الخوارق كثيرًا ما تكون لأهل البدع والمنافقين. [٧٠]

فعلى هذا فمن أظهر الولاية وهو لا يؤدي الفرائض، ولا يجتنب المحارم بل قد يأتي بما يناقض ذلك، لم يكن لأحد أن يقول هذا ولي لله " [٧١].

---

[٦٩] قطر الولي على حديث الولي (٢٤٩)

[٧٠] مجموع الفتاوى (١١/٢١٣-٢١٤)

[٧١] انظر الفرقان (٢/٥٦٨) ، مجموع الفتاوى (١١/٢١٣-٢١٤) ، تلبيس ابليس لابن الجوزي(٤٣٨)

بل إن فعل ذلك فهو دليل على نقص ولايته لله أو كفره بالله تعالى ، أما القول بأن الولي يصل لمرحلة تسقط فيها عنه التكاليف –كما هو زعم غلاة الصوفية– لأنه قد بلغ مرحلة اليقين الواردة في قول الله تعالى: ﴿واعبد ربك حتى يأتيك اليقين﴾ (الحجر/٩٩) ، فزعموا أن اليقين درجة من درجات التوكل على الله عز وجل يبلغها المرء فيكشف له الحجاب ، وأن الولي متى كُشف له شيء من أمر الغيب سقط عنه التكليف فلا صلاة ولا صيام ولا غير ذلك ، [٧٢] كذلك تحتج الصوفية بولايتهم وعلو درجتهم وأن هذا مُسقط عنهم التكاليف الشرعية من صلاة وصيام وحج والتي هي في حقيقتها عبادة للعوام كما يزعمون ، أما هم فإنهم الخواص بل خواص الخواص.

قال أبو سليمان الداراني عن أولياء الصوفية:

"إن الله يفتح للعارف وهو على فراشه ما لا يفتح لغيره وهو قائم يصلي"

وقال في ترجمة الشريف المجذوب أحد أوليائهم:

"وكان أصله جمالا عند بعض الأمراء ثم حصل له الجذب...وكان له كشف ومثاقلات للناس الذين ينكرون عليه، وكان رضي الله عنه يأكل في نهار رمضان ويقول : أنا معتوق أعتقني ربي، وكان كل من ينكر عليه يعطبه في الحال"[٧٣]

و من أقبح ما وقع فيه هؤلاء تسليمهم للولي – عندهم – بكل ما يصدر عنه – وإن كان مخالفاً للشريعة – مع اعتقاد أنه لا يحيد عن الحق ، فإذا أظهر شيئاً يخالف الشرع المطهر وجب تأويله ؛ لأنه إنما يفعل ذلك لغرض صحيح .[٧٤]

يقول ابن أبي العز الحنفي:

" فلا طريقة إلا طريقة الرسول صلى الله عليه وسلم ، ولا حقيقة إلا حقيقته ، ولا شريعة إلا شريعته ، ولا عقيدة إلا عقيدته، ولا يصل أحد من الخلق بعده إلى الله وإلى رضوانه وجنته وكرامته إلا بمتابعته باطناً وظاهراً. ومن لم يكن له مصدقاً فيما أخبر، ملتزماً لطاعته فيما أمر ، في الأمور الباطنة التي في القلوب ، والأعمال الظاهرة التي على الأبدان: لم يكن مؤمناً ، فضلاً عن أن يكون ولياً لله تعالى ، ولو طار في الهواء ، ومشى على الماء ، وأنفق من الغيب ، وأخرج الذهب من الخشب ، ولو حصل له من الخوارق ماذا عسى أن يحصل ! ! فإنه لا يكون مع تركه الفعل المأمور وعزل المحظور إلا من أهل الأحوال الشيطانية ، المبعدة لصاحبها عن الله تعالى ، المقربة إلى سخطه وعذابه ...

---

[٧٢] فرق معاصرة لعواجي(١٠٣٤٩/٣)

[٧٣] انظر فرق معاصرة لعواجي(١٠٣٢/٣)

[٧٤] انظر فرق معاصرة لعواجي(٨٧٥/٣) ، تلبيس ابليس لابن الجوزي(٤٣٨)

وأما الذين يتعبدون بالرياضات والخلوات ، ويتركون الجُمع والجماعات ، فهم الذين ضل سعيهم في الحياة الدنيا ، وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعاً ، قد طبع الله على قلوبهم. كما قد ثبت في الصحيح عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : من ترك ثلاث جمع تهاوناً من غير عذر ، طبع الله على قلبه . وكل من عدل عن اتباع سنة الرسول ، إن كان عالماً بها فهو مغضوب عليه ، وإلا فهو ضال . ولهذا شرع الله لنا أن نسأله في كل صلاة أن يهدينا الصراط المستقيم ، صراط الذين أنعم عليهم ، من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين ، وحسن أولئك رفيقاً ، غير المغضوب عليهم ولا الضالين ."[٧٥]

القاعدة السابعة : ليس للأولياء قدرات إلا ما أعطوا من الكرامات:

من أصول أهل السنة التصديق بكرامات الأولياء[٧٦] ، وما يجري الله على أيديهم من خوارق العادات في أنواع العلوم والمكاشفات وأنواع القدرة والتأثيرات كالمأثور عن سالف الأمم في سورة الكهف وغيرها وعن صدر هذه الأمة من الصحابة والتابعين وسائر القرون وهي موجودة فيها إلى يوم القيامة . [٧٧]

ولكن لا يعني هذا الاعتقاد بأن الأولياء يعلمون الغيب أو أن لهم علما خاصا ، أو لقاء خاصا بأحد من الأنبياء أو قدرات يشاركون بها رب البريات كما تزعم الصوفية ومن شاكلهم من أهل البدعة والضلالة أنهم يقابلون النبي – صلى الله عليه وآله وسلم – يقظة لأغراض متعدده مختلفة مثل سؤاله عن الأحاديث وأحكامها تصحيحاً وتضعيفاً ![٧٨]

يقول الشعراني ناقلا عن شيخه البسطامي:"وكان الشيخ الكامل أبو يزيد البسطامي رضي الله عنه يقول لعلماء عصره: أخذتم علمكم من علماء الرسوم ميتا عن ميت، وأخذنا علمنا عن الحي الذي لا يموت "[٧٩].

وهكذا نجد أن الصوفية يُلبسون أولياءهم ثوب الربوبية ، ويعطونهم من حقوق الألوهية ، تعالى الله عما يقولون علواً كبيراً. وانظر رعاك الله ضلالاتهم في اعتقادهم في الأقطاب[٨٠] المزعومين عندهم إذ أنهم في اصطلاح الصوفية :

---

[٧٥] شرح العقيدة الطحاوية(٢/٧٦٨، ٧٧٣)، وانظر الفرقان (٢/٥٨٨).

[٧٦] الكرامة هي خارق للعادة يجريه الله تعالى على يد بعض الصالحين من أتباع الرسل إكراماً من الله تعالى له ببركة اتباعه للرسل صلوات الله وسلامه عليهم ، وليس كل ولي تحصل له كرامة ، فقد تحصل لبعضهم إبتداءاً ، وقد تحصل لبعضهم الآخر بناءاً على طلبه، إما : لتقوية إيمانه، أوسداً لحاجته كالحاجة إلى الطعام والشراب والأمن ، أو لإقامة الحجة على خصمه المعارض في الحق. انظر لوامع الأنوار البهية وسواطع الأسرار الأثرية لأبي العون السفاريني (٢/٣٩٢)، والإرشاد إلى صحيح الاعتقاد والرد على أهل الشرك والالحاد لصالح الفوزان(١٩٢)

[٧٧] انظر شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة لهبة الله اللالكائي (٢/٣٩٣)، العقيدة الواسطية لابن تيمية (١٢٣)

[٧٨] يقول ابن عربي– الصوفي الضال–: "ورب حديث يكون صحيحاً من طريق رواته يحصل لهذا المكاشف الذي عاين هذا المظهر (مظهر معاينة النبي عليه الصلاة والسلام) فسأل النبي – صلى الله عليه وآله وسلم – عن هذا الحديث الصحيح فأنكره وقال له : لم أقله ولا حكمت به . فيعلم هذا المكاشف ضعفه ، فيترك العمل به عن بينة من ربه ، وإن كان قد عمل به أهل النقل لصحة طريقه وبنفس الأمر ليس كذلك " انظر: الفتوحات المكية لابن عربي (٢/٣٥٨) وانظر تلبيس ابليس لابن الجوزي(٤١٨–٤٢٤)

[٧٩] فرق معاصرة للعواجي (٣/٩٧٩) وانظر منه أيضا ناقلا من كتبهم (٣/٩٧٧–٩٨٥، ١٠١٩–١٠٢٤) ، ومن المناكير والفظائع التي تدعيها الصوفية لأوليائها محتجة بولايتهم ؛ زعمهم أن الأولياء يعلمون الغيب فينقل الشعراني عن شيخه الخواص قوله : " العارف له أن يقول : أنا أعرف الآن ما تكتبه الأقلام الإلهية في شأني ويكون صادقاً " انظر الجواهر والدرر (٢١٠)

" القطب وقد يسمى غوثاً باعتبار التجاء الملهوف إليه . وهو عبارة عن الواحد الذي هو موضع نظر الله في كل زمان ، أعطاه الطلسم الأعظم من لدنه ، وهو يسري في الكون وأعيانه الباطنة والظاهرة سريان الروح في الجسد ، بيده قسطاس الفيض الأعم ، وزنه يتبع علمه ، وعلمه يتبع علم الحق ، وعلم الحق يتبع الماهيات غير المجعولة ، فهو يفيض روح الحياة على الكون الأعلى والأسفل ، وهو على قلب إسرافيل من حيث حصته الملكية الحاملة مادة الحياة والإحساس ، لا من حيث إنسانيته ".[٨١]

وفي الموسوعة العربية الميسرة إجمال التعريفات الصوفية للقطب حيث جاء فيها وصف القطب بأنه : "ذو معنيين عند الصوفية :

أحدهما : الواحد الذي هو موضع نظر الله في كل زمان ، يسري في الكون سريان الروح في الجسد ، ويفيض روح الحياة على الكون الأعلى والأسفل ، وقد يسمى القطب غوثاً لالتجاء الملهوف إليه ، فالقطب هنا إنسان اختص بما لم يختص به غيره من الكمال . والمعنى الثاني : أن يكون القطب قطباً سابقاً في الوجود عليهم وعلى كل ما في عالم الغيب والشهادة ، والأقطاب أربعة : الدسوقي والجيلاني ، والرفاعي ، والبدوي".[٨٢]

هذه بعض العقائد الصوفية في حد القطب الذين هم أعلى الدرجات في الولاية والأولياء عندهم ، ويكفي ردا عليهم قول رب الأولياء والأشقياء رب العالمين سبحانه وتعالى : ﴿قُلْ لَئِنِ اجْتَمَعَتِ الإِنْسُ وَالْجِنُّ عَلَى أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ لاَ يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا * وَلَقَدْ صَرَّفْنَا لِلنَّاسِ فِي هَذَا الْقُرْآنِ مِنْ كُلِّ مَثَلٍ فَأَبَى أَكْثَرُ النَّاسِ إِلاَّ كُفُورًا * وَقَالُوا لَنْ نُؤْمِنَ لَكَ حَتَّى تَفْجُرَ لَنَا مِنَ الأَرْضِ يَنْبُوعًا * أَوْ تَكُونَ لَكَ جَنَّةٌ مِنْ نَخِيلٍ وَعِنَبٍ فَتُفَجِّرَ الأَنْهَارَ خِلاَلَهَا تَفْجِيرًا * أَوْ تُسْقِطَ السَّمَاءَ كَمَا زَعَمْتَ عَلَيْنَا كِسَفًا أَوْ تَأْتِيَ بِاللهِ وَالْمَلاَئِكَةِ قَبِيلاً * أَوْ يَكُونَ لَكَ بَيْتٌ مِنْ زُخْرُفٍ أَوْ تَرْقَى فِي السَّمَاءِ وَلَنْ نُؤْمِنَ لِرُقِيِّكَ حَتَّى تُنَزِّلَ عَلَيْنَا كِتَابًا نَقْرَؤُهُ قُلْ سُبْحَانَ رَبِّي هَلْ كُنْتُ إِلاَّ بَشَرًا رَسُولاً﴾ (الإسراء/ ٨٨-٩٣).

وسئلت اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء في المملكة العربية السعودية هذا السؤال فأجابت:

"هل للأولياء كرامة، وهل لهم أن يتصرفوا في عالم الملكوت في السماوات والأرض، وهل يشفعون وهم في البرزخ لأهل الدنيا أم لا؟

الكرامة: أمر خارق للعادة يظهره الله تعالى على يد عبد حي من عباده الصالحين إكراما له فيدفع به عنه ضرا أو يحقق له نفعا أو ينصر به حقا، وذلك الأمر لا يملك العبد الصالح أن يأتي به إذا أراد كما أن النبي لا يملك أن يأتي بالمعجزة من عند نفسه، بل كل ذلك إلى الله وحده، قال الله تعالى: سورة العنكبوت الآية ٥٠ : ﴿وَقَالُوا لَوْلَا أُنْزِلَ عَلَيْهِ آيَاتٌ مِنْ رَبِّهِ قُلْ إِنَّمَا الْآيَاتُ عِنْدَ اللَّهِ وَإِنَّمَا أَنَا نَذِيرٌ مُبِينٌ ﴾ .

---

[٨٠] الأقطاب جمع قطب والقطب لغة : ما عليه مدار الشيء وملاكه ، ومنه قطب الرحى . انظر: القاموس المحيط مادة قطب

[٨١] التعريفات للجرجاني ص ١٧٧- ١٧٨

[٨٢] الموسوعة العربية الميسرة مادة قطب (١٣٨٧)،وانظرالشيخ عبدالقادر الجيلاني وآراؤه الاعتقادية والصوفية لسعيد القحطاني(٥٥٨)

ولا يملك الصالحون أن يتصرفوا في ملكوت السماوات والأرض إلا بقدر ما آتاهم الله من الأسباب كسائر البشر من زرع وبناء وتجارة ونحو ذلك مما هو من جنس أعمال البشر بإذن الله تعالى، ولا يملكون أن يشفعوا وهم في البرزخ لأحد من الخلق أحياء وأمواتا، قال الله تعالى:سورة الزمر الآية ٤٤: ﴿ قُلْ لِلَّهِ الشَّفَاعَةُ جَمِيعًا﴾

وقال: سورة الزخرف الآية ٨٦ ﴿ وَلَا يَمْلِكُ الَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ الشَّفَاعَةَ إِلَّا مَنْ شَهِدَ بِالْحَقِّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ) .وقال: سورة البقرة الآية ٢٥٥: ﴿مَنْ ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ ﴾ .

ومن اعتقد في أنهم يتصرفون في الكون أو يعلمون الغيب فهو كافر؛ لقول الله عز وجل: سورة المائدة الآية ١٢٠: ﴿ لِلَّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا فِيهِنَّ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾ .وقوله سبحانه: سورة النمل الآية ٦٥: ﴿ قُلْ لَا يَعْلَمُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ الْغَيْبَ إِلَّا اللَّهُ ﴾ .وقوله سبحانه آمرا نبيه صلى الله عليه وسلم بما يزيل اللبس ويوضح الحق: سورة الأعراف الآية ١٨٨: ﴿ قُلْ لَا أَمْلِكُ لِنَفْسِي نَفْعًا وَلَا ضَرًّا إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ وَلَوْ كُنْتُ أَعْلَمُ الْغَيْبَ لَاسْتَكْثَرْتُ مِنَ الْخَيْرِ وَمَا مَسَّنِيَ السُّوءُ إِنْ أَنَا إِلَّا نَذِيرٌ وَبَشِيرٌ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴾ .

وبالله التوفيق ، وصلى الله على نبينا محمد، وآله وصحبه وسلم." [٨٣]

القاعدة الثامنة : ليس من شرط الولي أن يُعطى كرامة ، وليست الكرامات مقياسا للتفضيل بين الأولياء :

أهل السنة والجماعة يؤمنون بكرامات الأولياء كما دلت نصوص الكتاب والسنة ، وكذلك يعتقدون أن أولياء الله هم المؤمنون المتقون ، وأن الأولياء يتفاضلون في ولايتهم لله بحسب تفاضلهم في الإيمان والتقوى.

فالكرامة ليست شرطا للولاية ، و لا مقياسا للتفضيل بين الأولياء ، ولا يصح اعتقاد أفضلية ولي على آخر بحسب ما يعطى من الكرامات . يقول شيخ الاسلام ابن تيمية:

"ومما ينبغي أن يعرف أن الكرامات قد تكون بحسب حاجة الرجل ، فإذا احتاج إليها الضعيف الإيمان أو المحتاج أتاه منها ما يقوي إيمانه ويسد حاجته ، ويكون من هو أكمل ولاية لله منه مستغنيا عن ذلك ؛ فلا يأتيه مثل ذلك لعلو درجته وغناه عنها لا لنقص ولايته ، ولهذا كانت هذه الأمور[٨٤] في التابعين أكثر منها في الصحابة ، بخلاف من يجري على يديه الخوارق لهدى الخلق[٨٥] ولحاجتهم فهؤلاء أعظم درجة ."[٨٦]

القاعدة التاسعة : إن حصول خوارق العادات ليس دليلا على الولاية :

---

[٨٣] مجموع فتاوى اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء في المملكة العربية السعودية- السؤال الرابع من الفتوى رقم (٩٠٢٧) (١/ ٥٧٥)- المشايخ أعضاء اللجنة: عبد العزيز بن عبد الله بن باز رئيسا- عبد الله بن قعود- عبد الله بن غديان- عبد الرزاق عفيفي.

[٨٤] يقصد الكرامات.

[٨٥] مثل آيات الأنبياء عليهم السلام.

[٨٦] مجموع الفتاوى (٢٨٣/١١)

بين الله عز وجل غاية البيان في كتابه العزيز من هم أولياء الله فقال سبحانه: ﴿ أَلَا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ * الَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ ﴾ (يونس: ٦٢ – ٦٣).

فهؤلاء هم الأولياء وهذا ضابط الولاية وحدها ، وليس ضابطها وشرطها إعطاء كرامة ، أو خرق للعادة ،كما قد يظن بعض الجهال والضلال من أن خوارق العادات هي دليل على ولاية العبد لله تعالى ، وأن علامة الولي أن يعطى كرامة وتخرق له العادة.

ثم إن كانت الخوارق دليلا على ولاية الله فلتكن دليلا على ولاية الساحر والكاهن والمنجم والمتفرس ورهبان اليهود والنصارى وعباد الأصنام ؛ فإنهم يجري لهم من الخوارق ألوف ، ولكن هي من قِبل الشياطين، فإنهم يتنزلون عليهم لمجانستهم لهم في الأفعال والأقوال.[٨٧]

قال ابن حجر رحمه الله:

"استقر عند العامة أن خرق العادة يدل على أن من وقع له ذلك من أولياء الله ، وهو غلط ممن يقوله ؛ فإن الخارق قد يظهر على يد المبطل من ساحر وكاهن وراهب ، فيحتاج من يستدل بذلك على ولاية أولياء الله تعالى إلى فارق ، وأولى ما ذكروه أن يختبر حال من وقع له ذلك ، فإن كان متمسكا بالأوامر الشرعية والنواهي كان ذلك علامة ولايته ، ومن لا فلا."[٨٨]

قال شيخ الاسلام ابن تيمية:

"وتجد كثيراً من هؤلاء عمدتهم في اعتقاد كونه ولياً لله أنه قد صدر عنه مكاشفة في بعض الأمور أو بعض التصرفات الخارقة للعادة، مثل: أن يشير إلى شخص فيموت، أو يطير في الهواء إلى مكة أو غيرها أو يمشي على الماء أحياناً أو يملأ إبريقاً من الهواء، أو ينفق بعض الأوقات من الغيب أو أن يختفي أحياناً عن أعين الناس، أو أن بعض الناس استغاث به وهو غائب أو ميت فرآه قد جاءه فقضى حاجته، أو يخبر الناس بما سرق لهم، أو بحال غائب لهم أو مريض أو نحو ذلك من الأمور، وليس في شيء من هذه الأمور ما يدل على أن صاحبها ولي لله، بل قد اتفق أولياء الله على أن الرجل لو طار في الهواء أو مشى على الماء لم يغتر به حتى ينظر متابعته لرسول الله صلى الله عليه وسلم وموافقته لأمره ونهيه.

وكرامات أولياء الله – تعالى- أعظم من هذه الأمور، وهذه الأمور الخارقة للعادة وإن كان قد يكون صاحبها ولياً لله فقد يكون عدواً لله ، فإن هذه الخوارق تكون لكثير من الكفار والمشركين وأهل الكتاب والمنافقين وتكون لأهل البدع وتكون من الشياطين فلا يجوز أن يظن أن كل من كان له شيء من هذه الأمور أنه ولي لله، بل يعتبر أولياء الله بصفاتهم وأفعالهم وأحوالهم التي دل عليها الكتاب والسنة، ويعرفون بنور الإيمان والقرآن وبحقائق الإيمان الباطنة وشرائع الإسلام الظاهرة.

---

[٨٧] انظر تيسير العزيز الحميد شرح كتاب التوحيد لسليمان آل الشيخ(٣٩٦).

[٨٨] انظر فتح الباري(٣٨٣/٧)

فإذا كان الشخص مباشراً للنجاسات والخبائث التي يحبها الشيطان أو يأوي إلى الحمامات والحشوش التي تحضرها الشياطين أو يأكل الحيات والعقارب والزنابير، وآذان الكلاب التي هي خبائث وفواسق أو يشرب البول ونحوه من النجاسات التي يحبها الشيطان أو يدعو غير الله فيستغيث بالمخلوقات ويتوجه إليها أو يسجد إلى ناحية شيخه ولا يخلص الدين لرب العالمين أو يلابس الكلاب أو النيران أو يأوي إلى المزابل والمواضع النجسة أو يأوي إلى المقابر، ولاسيما إلى مقابر الكفار من اليهود والنصارى أو المشركين أو يكره سماع القرآن وينفر عنه ويقدم عليه سماع الأغاني والأشعار ويؤثر سماع مزامير الشيطان على سماع كلام الرحمن فهذه علامات أولياء الشيطان لا علامات أولياء الرحمن.

وإن كان الرجل خبيراً بحقائق الإيمان الباطنة فارقاً بين الأحوال الرحمانية والأحوال الشيطانية فيكون قد قذف الله في قلبه من نوره كما قال تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَآمِنُوا بِرَسُولِهِ يُؤْتِكُمْ كِفْلَيْنِ مِنْ رَحْمَتِهِ وَيَجْعَلْ لَكُمْ نُوراً تَمْشُونَ بِهِ وَيَغْفِرْ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ (الحديد: ٢٨)... وقد تقدم الحديث الصحيح الذي في البخاري وغيره، قال فيه: (لا يزال عبدي يتقرب إلي بالنوافل حتى أحبه فإذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به وبصره الذي يبصر به ويده التي يبطش بها ورجله التي يمشي بها، فبي يسمع وبي يبصر وبي يبطش وبي يمشي، ولئن سألني لأعطينه، ولئن استعاذني لأعيذنه، وما ترددت في شيء أنا فاعله ترددي في قبض نفس عبدي المؤمن، يكره الموت وأكره مساءته ولا بد له منه).

فإذا كان العبد من هؤلاء فرق بين حال أولياء الرحمن وأولياء الشيطان كما يفرق الصيرفي بين الدرهم الجيد والدرهم المزيف، وكما يفرق من يعرف الخيل بين الفرس الجيد والفرس الرديء، وكما يفرق من يعرف الفروسية بين الشجاع والجبان، وكما أنه يجب الفرق بين النبي الصادق وبين المتنبئ الكذاب، فيفرق بين محمد الصادق الأمين رسول رب العالمين وموسى والمسيح وغيرهم وبين مسيلمة الكذاب، والأسود العنسي وطليحة الأسدي والحارث الدمشقي، وباباه الرومي، وغيرهم من الكذابين، وكذلك يفرق بين أولياء الله المتقين وأولياء الشيطان الضالين ".[٨٩]

والولي لابد له أن يقتدي في أقواله و أفعاله بالكتاب والسنة ، لأن ذلك هو المعيار الذي يُعرف به الحق من الباطل ، فمن ظهر عليه شيء مما يخالف هذا المعيار فهو رد عليه ، ولا يجوز لأحد أن يعتقد فيه أنه ولي لله.[٩٠] حتى لو أظهر من خوارق العادات ما أظهر .

وحقيقة الأمر الذي دلت عليه النصوص أن الولاية شرط في صحة الكرامة ؛ وليست الكرامة شرطا في الولاية.

القاعدة العاشرة: الواجب إعطاء الولي حقه من غير غلو ولا جفاء:

---

[٨٩] انظر الفرقان(٢/٥٨٨) ، مجموع الفتاوى (١١/٢١٣-٢١٤) ، تلبيس ابليس لابن الجوزي(٤٥٦).

[٩٠] انظر قطر الولي على حديث الولي (٢٤٩،٢٧٢)، لوامع الأنوار للسفاريني(٢/٣٩٣)

الواجب إعطاء الولي حقه من غير غلو يؤدي للتقديس والقول بالعصمة ووجوب الطاعة العمياء، ولا جفاء يؤدي للتجريح وتعمد الأذى والاستهزاء. وكذلك لا تبيح لأحد أن يتوجه إلى من يسمون بالأولياء . وقد لا يكونون يستحقون ذلك وحتى وإن كانوا يستحقون . فيرفعونهم إلى مقام النبوة فلا يردون لهم أمرا ، ولا يناقشون لهم فكرا ولا رأيا، ويعتبرون طاعتهم واجبة كطاعة الله، وهذا كله من الغلو الذي نهى الله تعالى عنه، ومن أعظم أسباب وقوع الشرك في الناس .

وقد يتعدى بعض الناس هذا الحد فيقع في الشرك الأكبر بسبب الفهم الخاطئ للولاية ومنزلة الأولياء فتراه يدعوهم من دون الله ويذبح لهم ويقدم لهم القرابين ويطوف حول أضرحتهم .

إن الموقف الحق المعتدل من الأولياء هو عدم الغلو فيهم مع عدم الجفاء والاستخفاف بهم وإيذائهم؛ بل الواجب محبتهم في الله وموالاتهم. ففي الحديث القدسي : الذي يرويه عليه الصلاة والسلام عن ربه : (إن الله تعالى قال : من عادى لي ولياً فقد آذنته بالحرب وما تقرب إليّ عبدي بشيء أحب إليّ مما افترضه عليه ، وما يزال عبدي يتقرب إلي بالنوافل حتى أحبه ، فإذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به ، وبصره الذي يبصر به ، ويده التي يبطش بها ورجله التي يمشي بها ، وإن سألني لأعطينه ، ولئن استعاذ بي لأعيذنه ...)[٩١]

يقول ابن رجب: "فأولياء الله تجب موالاتهم، وتحرم معاداتهم ."[٩٢] ويذكر الشيخ محمد بن عبد الوهاب الواجب في حق أولياء الله الصالحين فيقول: " الواجب عليهم حبهم واتباعهم والإقرار بكرامتهم، ولا يجحد كرامات الأولياء إلا أهل البدع والضلال، ودين الله وسط بين طرفين، وهدى بين ضلالتين، وحق بين باطلين".
ونجد أن الإمام عبد العزيز الأول يشير إلى حقوق أولياء الله، مع بيان الفرق بين الولي الحق، وبين مدعي الولاية –كذباً وزوراً– فقال رحمه الله:
"وكذلك حق أوليائه محبتهم والترضي عنهم والإيمان بكراماتهم، لا دعاؤهم، ليجلبوا لمن دعاهم خيراً لا يقدر على جلبه إلا الله تعالى، أو ليدفعوا عنهم سوءاً لا يقدر على دفعه إلا هو عز وجل، فإن ذلك عبادة مختصة بجلاله تعالى وتقدس."
وبين الشيخ عبد الله بن محمد بن عبد الوهاب بعضاً من حقوق الأولياء.. لكن دون الغلو فيهم فيقول رحمه الله: "ولا ننكر كرامات الأولياء، ونعترف لهم بالحق، وأنهم على هدى من ربهم، مهما ساروا على الطريقة الشرعية والقوانين المرعية، إلا أنهم لا يستحقون شيئاً من أنواع العبادات، لا حال الحياة، ولا بعد الممات بل يطلب من أحدهم الدعاء في حالة حياته، بل ومن كل مسلم".
ويقول ابن سحمان في قصيدته (عقود الجواهر واللئالي في معارضة بدء الأمالي)، مبينا المعتقد الحق في الأولياء وكراماتهم:

---

[٩١] صحيح البخاري،كتاب الرقاق الصحة والفراغ ولا عيش إلا عيش الآخرة، باب التواضع،حديث ٦٥٠٢ ، فتح الباري (٣٤٠/١١)

[٩٢] جامع العلوم والحكم(٣٣٤/٢)

وكل كرامة ثبتت بحق *** فحق للوليّ بلا اختلال
نوال من كريم حيث كانوا *** بطاعة ربهم أهل انفعال
وليس لهم نوال أو حباء *** لمن يدعوهمو من كل عال
وإن الخرق للعادات فاعلم *** على نوعين واضحة المثال
فنوع من شياطين غواه *** لمن والاهمو من ذي الخيال
ونوع وهو ما قد كان يجري *** لأهل الخير من أهل الكمال
من الرحمن تكرمة وفضلا *** لشخص ذي تقى سامي المعالي
ولكن ليس يوجب أن سيدعى *** ويرجى أو يخاف بكل حال
فما في العقل ما يقضي بهذا *** ولا في الشرع يا أهل الوبال

فحق الأولياء هو المحبة والتقدير وإثبات الكرامات لهم فلا جفاء في حقهم ، وليس من حقهم أن تصرف بعض أنواع العبادة – التي يجب أن تكون لله وحده – لهم، فلا غلو في قدرهم ولا بخس . فدين الله وسط بين طرفي الغلو والجفاء. [٩٣]

---

[٩٣] ما تقدم من نقول هي عن كتاب دعاوى المناوئين لعبدالعزيز العبداللطيف(كتاب الكتروني على هذا الرباط:
http://saaid.net/monawein/sh/10.htm

المطلب الثالث : علاقة الولاية بالنبوة ، وفيه قاعدتان :

القاعدة الأولى : النبوة هي أعلى درجات الولاية وأرقاها .

القاعدة الثانية : الولاية ليست مختومة كالنبوة .

وهذا شرح وبيان لهاتين القاعدتين:

القاعدة الأولى : النبوة هي أعلى درجات الولاية وأرقاها:

لاشك أن النبوة هي أعلى وأرقى درجات الولاية لله تعالى ، يقول الإمام الطحاوي : "ولا نفضل أحدا من الأولياء على أحد الأنبياء عليهم السلام ، ونقول نبي واحد أفضل من جميع الأولياء " .[٩٤]

قال ابن تيمية:" وقد اتفق سلف الأمة وأئمتها وسائر أولياء الله تعالى على أن الأنبياء أفضل من الأولياء الذين ليسوا بأنبياء، وقد رتب الله عباده السعداء المنعم عليهم أربع مراتب، فقال تعالى: ﴿وَمَنْ يُطِعْ اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَأُوْلَئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنْ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُوْلَئِكَ رَفِيقاً﴾ (النساء/ ٦٩) وفي الحديث : (ما طلعت الشمس ولا غربت على أحد بعد النبيين والمرسلين أفضل من أبي بكر)، وأفضل الأمم أمة محمد صلى الله عليه وسلم قال تعالى:﴿ كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ﴾ (آل عمران/ ١١٠)، وقال تعالى:﴿ ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا﴾ (فاطر/ ٣٢). وأفضل أمة محمد صلى الله عليه وسلم القرن الأول. وقد ثبت عن النبي صلى الله عليه وسلم من غير وجه، أنه قال: (خير القرون القرن الذي بعثت فيه ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم)، وهذا ثابت في الصحيحين من غير وجه.

والسابقون الأولون من المهاجرين والأنصار أفضل من سائر الصحابة، قال تعالى:﴿ لا يَسْتَوِي مِنْكُمْ مَنْ أَنْفَقَ مِنْ قَبْلِ الْفَتْحِ وَقَاتَلَ أُوْلَئِكَ أَعْظَمُ دَرَجَةً مِنْ الَّذِينَ أَنْفَقُوا مِنْ بَعْدُ وَقَاتَلُوا وَكُلاًّ وَعَدَ اللَّهُ الْحُسْنَى﴾ (الحديد/١٠). وقال تعالى:﴿ وَالسَّابِقُونَ الأَوَّلُونَ مِنْ الْمُهَاجِرِينَ وَالأَنصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُمْ بِإِحْسَانٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ} (التوبة/ ١٠٠) ، والسابقون الأولون الذين أنفقوا من قبل الفتح وقاتلوا، والمراد بالفتح: صلح الحديبية فإنه كان أول فتح مكة.

وأفضل السابقين الأولين الخلفاء الأربعة، وأفضلهم أبوبكر ثم عمر، وهذا هو المعروف عن الصحابة والتابعين لهم بإحسان وأئمة الأمة وجماهيرها."[٩٥]

---

[٩٤] انظر شرح العقيدة الطحاوية لعبد الرحمن بن ناصر البراك (٣٩٢)

[٩٥] انظر الفرقان (٢/٥٩٥)، لوامع الأنوار البهية (٢/٣٠٢) .

وكما أن هناك تفاضل بين أولياء الله المؤمنين، هناك تفاضلٌ بين الأنبياء كما قال تعالى: ﴿ تِلْكَ الرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ ﴾(البقرة/٢٥٣) ، وقوله تعالى : ﴿ وَلَقَدْ فَضَّلْنَا بَعْضَ النَّبِيِّينَ عَلَى بَعْضٍ وَآتَيْنَا دَاوُودَ زَبُورًا ﴾ (الإسراء/٥٥)

فالأنبياء أفضل الناس وأولو العزم من الرسل أفضل الرسل وأفضل الرسل والأنبياء خمسة : محمد صلى الله عليه وسلم ، ونوح، وإبراهيم ، وموسى ، وعيسى ، وهؤلاء هم أولو العزم من الرسل ، ﴿فَاصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُوْلُوا الْعَزْمِ مِنَ الرُّسُلِ﴾ (الأحقاف / ٣٥) ، وقد ذكرهم الله في كتابه في أكثر من موضع ، ﴿شَرَعَ لَكُم مِّنَ الدِّينِ مَا وَصَّى بِهِ نُوحًا وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ﴾ (الشورى /١٣) .[٩٦]

وفي هذا رد على كل مدعٍ مخالف لنصوص الكتاب والسنة ممن يزعم أن الولاية أفضل من النبوة ، وأن من الأولياء والأئمة من هو أفضل من الأنبياء بل من بعض المرسلين نعوذ بالله من الضلال.[٩٧]

القاعدة الثانية : الولاية ليست مختومة كالنبوة :

ليس هناك خاتم للأولياء كما هو خاتم الأنبياء صلى الله عليه وسلم ، و لا فضل خاص لخاتم الأولياء المزعوم ، فكلمة خاتم الأولياء كلمة لا حقيقة لفضلها ومزيتها فضلا عن حقيقة وجودها، وإنما هي من الحكيم الترمذي[٩٨] تكلم بها من عنده غلطًا لم يُسبق إليه ولم يتابع عليه ، ولكن فتحت مقولته هذه أبواب البدع والضلالات وتمسك بها من تمسك من ضلال الصوفية الغلاة كابن عربي ومن هم على شاكلته وادعى أنه خاتم الأولياء[٩٩] ، وادعى أن الولاية أفضل من النبوة، ومسمى هذا اللفظ "خاتم الأولياء" ؛ يعني : آخر مؤمن تقي؛ وليس هذا أفضل الأولياء باتفاق المسلمين .[١٠٠]

قال شيخ الإسلام ابن تيمية-رحمه الله-:

"منها أن دعوى المدعي وجود خاتم الأولياء على ما ادعوه باطل لا أصل له . ولم يذكر هذا أحد من المعروفين قبل هؤلاء إلا أبو عبد الله محمد بن علي الترمذي الحكيم في كتاب "ختم الولاية" وقد ذكر في هذا الكتاب ما هو خطأ وغلط مخالف للكتاب والسنة والإجماع .

---

[٩٦] انظر لوامع الأنوار البهية (٣٠٢/٢) ، الرسل والرسالات لعمر بن سليمان الأشقر (٢١٧).

[٩٧] كما تزعم الاتحادية وبعض طوائف الصوفية وبعض الشيعة الروافض ، انظر : شرح العقيدة الطحاوية لابن أبي العز الحنفي(٢/ ٧٤٢-٧٤٥) ، الرسل والرسالات للأشقر (٢١٢)، وانظر كتاب الحكومة الاسلامية للخميني(٥٢) في تفضيل بعض الأئمة على الأنبياء والرسل.

[٩٨] هو محمد بن علي بن الحسن بن بشر، أبو عبد الله، الحكيم الترمذي: باحث، صوفي، عالم بالحديث وأصول الدين.من أهل (ترمذ) نفي منها بسبب تصنيفه كتابا خالف فيه ما عليه أهلها، فشهدوا عليه بالكفر. وقيل: اتهم باتباع طريقة الصوفية في الإشارات ودعوى الكشف. وقيل فضل الولاية على النبوة، ورد بعض العلماء هذه التهمة عنه. وقيل: كان يقول: للأولياء خاتم كما أن للأنبياء خاتما. وفي (لسان الميزان) أن أهل ترمذ هجروه في آخر عمره لتأليفه كتاب (ختم الولاية وعلل الشريعة) وأنه حمل إلى بلخ فأكرمه أهلها وكان عمره نحو تسعين سنة. واضطرب مؤرخوه في تاريخ وفاته، فمنهم من قال سنة ٢٥٥ وسنة ٢٨٥ هـ، والراجح أنه توفي نحو عام ٣٢٠ هـ. انظر لسان الميزان لابن حجر العسقلاني (٣٠٩/٥)، سير أعلام النبلاء للذهبي(٤٣٩/١٣)،الأعلام للزركلي (١٥٦/٧)

[٩٩] جاء ابن عربي سنة ٦٣٨هـ وادعى أنه خاتم الأولياء، وممن ادعى أنه خاتم الأولياء : أحمد التجاني من المغرب ادعى أنه خاتم الأولياء وتوفي عام ١٢٣٠هـ ، وكذلك محمد بن عثمان الميرغني السوداني المتوفى عام ١٢٦٨هـ. وكل مدعٍ أنه الخاتم يكذب من قبله. انظر فرق معاصرة لغالب عواجي(١٠١٨/٣).

[١٠٠] انظر الفرقان(٥٩٨/٢)، لوامع الأنوار البهية (٣٠٢/٢)

وهو – رحمه الله تعالى– وإن كان فيه فضل ومعرفة وله من الكلام الحسن المقبول والحقائق النافعة أشياء محمودة – ففي كلامه من الخطأ : ما يجب رده ومن أشنعها ما ذكره في كتاب " ختم الولاية "مثل دعواه فيه أنه يكون في المتأخرين من درجته عند الله أعظم من درجة أبي بكر وعمر وغيرهما "[١٠١].

وقال أيضا :

"بل لما تكلم الحكيم الترمذي فى كتاب ختم الأولياء بكلام وذكر أنه يكون فى آخر الأولياء من هو أفضل من الصحابة، وربما لوح بشيء من ذكر الأنبياء ؛ قام عليه المسلمون وأنكروا ذلك عليه ونفوه من البلد بسبب ذلك، ولا ريب أنه تكلم فى ذلك بكلام فاسد باطل لا ريب فيه ومن هناك ضل من اتبعه فى ذلك حتى صار جماعات يدعي كل واحد أنه خاتم الأولياء كابن عربى صاحب الفصوص وسعد الدين بن حمويه وغيرهما، وصار بعض الناس يدعي أن فى المتأخرين من يكون أفضل فى العلم بالله من أبى بكر وعمر والمهاجرين والأنصار إلى أمثال هذه المقالات التى يطول وصفها مما هو باطل بالكتاب والسنة والاجماع ".[١٠٢]

وعقيدة ختم الولاية عقيدة مخالفة لما في الكتاب والسنة ؛ ودليل هؤلاء زعمهم أن خاتم الأولياء أفضل الأولياء قياسًا على خاتم الأنبياء ، حيث ظنوا أن النبي صلى الله عليه وسلم هو أفضل الأنبياء لأنه خاتمهم فالفضل في الخاتمية.

فقالوا : خاتم الأولياء أفضلهم وهذا خطأ في الاستدلال فإن خاتم الأنبياء عليه الصلاة والسلام ليس بأفضل الأنبياء لأنه خاتمهم بل أدلة تفضيلة أخرى دلت على ذلك .

و أول أولياء الأمة وسابقهم هو أفضلهم ، فإن أفضل الأمة خاتم الأنبياء ، وأفضل الأولياء سابقهم إلى خاتم الأنبياء وذلك لأن الولي مستفيد من النبي وتابع له ، فكلما قرب من النبي كان أفضل وكلما بعد عنه كان العكس، بخلاف خاتم الأنبياء فإنما استفادته استفادة من الله .

وأصل الغلط في هذا الباب بتفضيل الأنبياء أو الأولياء أو الأمراء بالتقدم في الزمن أو التأخر أصلٌ باطل فتارة يكون في متقدم النوع وتارة يكون في متأخره . [١٠٣]

كما أن منهم من ادعى أن خاتم الأولياء أفضل من خاتم الأنبياء من جهة العلم بالله ، وأن الأنبياء يستفيدون العلم بالله من جهته وهذا مخالف للشرع والعقل ذلك أن الأنبياء أفضل في الزمان من أولياء هذه الأمة والأنبياء عليهم السلام أفضل من الأولياء و ليس آخر الأولياء أفضلهم كما أن آخر الأنبياء أفضل ، فالولي لا يكون وليًّا إلا إذا اتبع الرسول الذي أرسل إليه .[١٠٤]

فلا يصح زعم من قال بوجود خاتم للأولياء، وكذلك لا يصح زعم من قال بفضل خاتم الأولياء قياسا على فضل خاتم الأنبياء محمد صلى الله عليه وسلم.

---

[١٠١] انظر مجموع الفتاوى (٢/٢٢٢) ، سير أعلام النبلاء للذهبي(١٣/٤٣٩)

[١٠٢] مجموع الفتاوى (١٣ /٢٦٧)

[١٠٣] انظر مجموع الفتاوى (١١/٣٦٦-٣٦٩)

[١٠٤] انظر مجموع الفتاوى (١١/٢٢٣ –٢٢٥)، شرح العقيدة الطحاوية لابن أبي العز(٢/٧٤٣).

الخاتمـة

الحمد لله حمدًا كثيرًا ، حمدًا على هدايته وتوفيقه ونعمائه ، حمدًا يليق بجلال وجهه وعظيم سلطانه ، والصلاة والسلام على خير خلق الله محمد بن عبد الله وعلى آله وصحبه وسلم ، فلقد خلص البحث إلى نتائج تلخص قواعد مهمة في ولاية الله تعالى وهي كما يلي:

١- أساس الولاية : الإيمان والتقوى، وشرطها المتابعة .

٢- كل مؤمن معه أصل الولاية إذا كان معه أصل الإيمان .

٣- لا تنال الولاية بالوراثة ولا بالنسب .

٤- لا تثبت الولاية و لا تصح إلا لمن يصح إيمانه وتصح عباداته .

٥- الأولياء متفاضلون بحسب تفاضلهم في الإيمان والتقوى .

٦- لا سبيل لحصر عدد الأولياء ، ولا تقييدهم بزمان، ولا بمكان ، ولا تمييزهم بلباس.

٧- الأولياء من غير الأنبياء ليسوا بمعصومين .

٨- لا طاعة واجبة لأحد من الأولياء خلا الأنبياء .

٩- لا يجوز صرف أي نوع من أنواع العبادة لغير الله حتى لو كان نبيّاً أو ولياًً، ولا تقديسه حيًا أو ميتًا.

١٠- الولاية لا تبيح لصاحبها فعل المحرمات ولا ترك الواجبات.

١١- ليس للأولياء قدرات إلا ما أعطوا من الكرامات .

١٢- ليس من شرط الولي أن يُعطى كرامة ، وليست الكرامات مقياسا للتفضيل بين الأولياء .

١٣- إن حصول خوارق العادات ليس دليلا على الولاية .

١٤- الواجب إعطاء الولي حقه من غير غلو ولا جفاء .

١٥- النبوة هي أعلى درجات الولاية وأرقاها .

١٦- الولاية ليست مختومة كالنبوة .

وفي نهاية هذه الخاتمة أوصي أهل العلم والباحثين بما يلي:

١- العناية و الاهتمام بنشر تراث السلف الصالح في سائر بلاد المسلمين، وبشتى اللغات ، واختيار الرسائل والمؤلفات المختصرة النافعة التي توضح عقيدة أهل السنة والجماعة.

٢- التحذير من كتب أهل البدعة المنتشرة بين المسلمين ، وتتبعها بالرد والمناقشة، وترجمتها باللغات المشهورة عند المسلمين.

٣- استغلال موسم الحج والعمرة من زوار البيت الحرام من جميع بقاع العالم لنشر الكتب النافعة الآمرة بالتوحيد المبينة له ، والناهية والمحذرة من البدع المنتشرة بكل اللغات المعروفة.

٤- العمل على توعية الجاليات الموجودين في المملكة العربية السعودية حول موضوع الولاية والكرامة إذ كثير من البدع تنتشر عند العوام حول هذا الموضوع.

٥- العناية بالوافدين لهذه البلاد لتعلم العلوم والمعارف سواء في التعليم العام أو التعليم العالي ببيان الحق بدليله ، والرد على البدعة وبيان منشئها.

٦- أوصي عموم المسلمين باتباع منهج السلف الصالح في تعاملهم مع الأولياء وبأن يكونوا وسطًا بدون غلو أو جفاء .

٧- أوصي الباحثين والدعاة بإيلاء موضوع الولاية بمزيد من الاهتمام ، وإفراد مصنفات تخصه ، وعمل محاضرات توعوية حوله ، وربطها بواقع الناس ، وذلك لكثرة البدع والانحرافات الواقعة من عموم المسلمين بغرض حماية جناب العقيدة الإسلامية ومساعدة المسلمين على الفهم الصحيح .

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على النبي المصطفى الأمين وعلى آله وصحبه أجمعين .

المراجع

١- إغاثة اللهفان من مصائد الشيطان لابن القيم الجوزية – القاهرة – دار التراث.

٢- الإنصاف في حقيقة الأولياء ومالهم من الكرامات والألطاف لمحمد بن إسماعيل الصنعاني –المدينة المنورة– الجامعة الإسلامية، ١٤٢١هـ

٣- التعريفات لمحمد بن علي الجرجاني – بيروت – دار الكتب العلمية، ١٤٠٣هـ

٤- تفسير القرآن العظيم لأبي الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير الدمشقي–دار طيبة–١٤٢٠هـ

٥- تلبيس إبليس لجمال الدين أبي الفرج عبد الحمن ابن الجوزي–تحقيق:السيد الجميلي–دار الكتاب العربي–بيروت–الرابعة–١٤١٨هـ١٩٩٨م

٦- التنبيهات اللطيفة على ما احتوت عليه العقيدة الواسطية من المباحث المنيفة لعبد الرحمن بن ناصر السعدي – الرياض : دار طيبة، ١٤١٤هـ

٧- تيسير العزيز الحميد شرح كتاب التوحيد لسليمان بن عبد الله آل الشيخ – مكتبة الرياض الحديثة – الرياض .

٨- تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان لعبد الرحمن بن ناصر السعدي– الرسالة–١٤٢٠هـ

٩- جامع البيان في تأويل القرآن لمحمد بن جرير الطبري – بيروت – الرسالة– ١٤٢٠هـ

١٠- جامع العلوم والحكم لأبي الفرج عبد الرحمن بن شهاب الدين الشهير بابن رجب — طبعة مؤسسة الرسالة– تحقيق شعيب الأرناؤوط —إبراهيم باجس — الطبعة الثامنة ١٤١٩هـ

١١- جامع المسائل لابن تيمية لمحمد عزيز شمس – مكة – دار علم الفوائد– ١٤٢٢هـ

١٢- الجامع لأحكام القرآن لمحمد بن أحمد القرطبي – القاهرة : دار الكتب المصرية.

١٣- الحكومة الإسلامية للخميني —تقديم وتعليق:محمد أحمد الخطيب–دار عمار–الأردن–الأولى–١٤٠٩هـ١٩٨٨م

١٤- دعاوى المناوئين دعاوى المناوئين لدعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب عرض ونقض لعبدالعزيز العبداللطيف (كتاب الكتروني —الدرر السنية – على هذا الرباط: http://saaid.net/monawein/sh/10.htm

١٥- دعوة الإمام محمد بن عبد الوهاب سلفية لا وهابية لأحمد بن عبد العزيز بن عبد الله الحصين– مكتبة الملك فهد الوطنية– ١٤٢٠هـ

١٦- الرسائل السلفية في إحياء سنة خير البرية لمحمد بن علي الشوكاني – بيروت : المكتبة العصرية– ١٤٢٦هـ

١٧- الرسل والرسالات لعمر بن سليمان الأشقر – الكويت الفلاح ١٤١٠هـ

١٨- شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة لمحمد حسن عبد الغفار / كرامات الأولياء.

١٩- شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة من الكتاب والسنة لأبي القاسم هبة الله اللالكائي–تحقيق: أحمد سعد حمدان–دار طيبة لنشر والتوزيع–الرياض .

٢٠- شرح أصول أهل السنة والجماعة لأبي الأشبال حسن الزهري / الدرس ١٩

٢١- شرح الأربعين النووية في الأحاديث الصحيحة النبوية لتقي الدين أبو الفتح محمد القشيري–المعروف بابن دقيق العيد — الريان– ١٤٢٤ هـ – ٢٠٠٣ م.

٢٢- شرح العقيدة الطحاوية لابن أبي العز الدمشقي –تحقيق :عبد الله التركي وشعيب الأرناؤوط–الرسالة– بيروت –الثالثة–١٤١٢هـ١٩٩١م

٢٣- شرح العقيدة الطحاوية لعبد الرحمن بن ناصر البراك – الرياض – دار التدمرية– ١٤٢٩هـ.

٢٤- شرح العقيدة الواسطية لعبد الرحيم بن صمايل العلياني السلمي / الدرس ٦

٢٥- كتاب الشريعة لأبي بكر محمد الآجري–تحقيق عبد الله الدميجي–دار الوطن–الرياض–الثانية–١٤٢٠هـ١٩٩٩م

٢٦- الشيخ عبد القادر الجيلاني و أراؤه الاعتقادية والصوفية لسعيد بن مسفر القحطاني– الأولى– ١٤١٨هـ

٢٧- صحيح البخاري لمحمد بن إسماعيل البخاري– دار طوق النجاة– ١٤٢٢هـ.

٢٨- صحيح مسلم لمسلم بن الحجاج النيسابوري – بيروت – دار إحياء التراث العربي.

٢٩- طبقات الشافعية الكبرى لتاج الدين عبد الوهاب بن تقي الدين السبكي– هجر للطباعة والنشر والتوزيع–١٤١٣هـ

٣٠- طبقات الصوفية لمحمد بن الحسين بن محمد النيسابوري – بيروت –دار الكتب العلمية– ١٤١٩هـ

٣١- طريق الهجرتين وباب السعادتين لابن قيم الجوزية– دار الوطن للنشر والاعلام–طبع على نفقة محمد الصالح .

٣٢- عقيدة المؤمن لأبي بكر الجزائري – السعودية – مكتبة العلوم و الحكم– دار العقيدة–الأولى–٢٠٠٤م

٣٣- العقيدة الواسطية اعتقاد الفرقة الناجية المنصورة إلى قيام الساعة لأحمد ابن تيمية – الرياض – أضواء السلف– ١٤٢٠هـ

٣٤- فتاوى مهمة لعموم الأمة لعبد العزيز بن باز و لمحمد بن صالح بن عثيمين– الرياض – دار العاصمة– ١٤١٣هـ.

٣٥- فتح الباري شرح صحيح البخاري لأحمد بن علي العسقلاني – بيروت – دار المعرفة– ١٣٧٩هـ

٣٦- الفرقان بين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان لابن تيمية– ضمن مجموعة التوحيد – تحقيق : بشير محمد عيون– مكتبة دار البيان–الأردن–١٤٠٧هـ١٩٨٧ م

٣٧- قاعدة جليلة في التوسل والوسيلة لأحمد بن تيمية — الرياض– رئاسة إدارة البحوث العلمية والإفتاء– ١٤٢٠هـ

٣٨- القاموس المحيط لمجد الدين محمد بن يعقوب الفيروز أبادي– مؤسسة الرسالة– ١٤٢٦هـ

٣٩- قطر الولي على حديث الولي لمحمد علي الشوكاني — تحقيق: ابراهيم هلال –القاهرة – دار الكتب– ١٩٧٩م

٤٠- القواعد الفقهية و تطبيقاتها في المذاهب الأربعة لمحمد مصطفى الزحيلي– دمشق– دار الفكر –١٤٢٧هـ

٤١- القيامة الصغرى لعمر سليمان الأشقر–مكتبة الفلاح–دار النفائس–الأردن–الخامسة–١٤١٤هـ١٩٩٤م

٤٢- كرامات الأولياء لناصر بن محمد الأحمد / الموقع الرسمي للشيخ ناصر بن محمد الأحمد. – http://alahmad.com/node/692.

٤٣- كرامات الأولياء ومخالفيهم ٢/٢ لعبد اللطيف بن محمد الحسن / البيان/ ١٤٢٠هـ/ جماد الأول/ ١٤١١

٤٤- الكليات لأبي البقاء أيوب الكفوي –تحقيق:عدنان درويش ومحمد المصري–مؤسسة الرسالة–بيروت–الثانية–١٤١٩هـ١٩٩٨م

٤٥- لسان العرب لأبي الفضل محمد بن منظور – دار صادر–بيروت–الثالثة–١٤١٤هـ١٩٩٤م

٤٦- لوامع الأنوار البهية وسواطع الأسرار الأثرية لشرح الدرة المضية لابي العون السفّاريني –المكتب الاسلامي– بيروت– الثالثة– ١٤١١هـ١٩٩١م

٤٧- مجموع فتاوى شيخ الإسلام أحمد بن تيمية – السعودية – مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريفة– ١٤٢٥هـ.

٤٨- مجموع فتاوى ورسائل الشيخ محمد بن عثيمين – جمع وترتيب فهد السليمان– دار الوطن– الرياض– الثانية–١٤١١هـ

٤٩- مختصر الفتاوى المصرية لأحمد بن تيمية- دار القلم للتراث.

٥٠- موسوعة أحاديث الفتن وأشراط الساعة-جمع وتصنيف:همام عبد الرحيم سعيد و محمد همام عبد الرحيم-مركز دراسات السنة النبوية-الأردن-الثانية-١٤٢٩هالأولى-١٤٢١ه٢٠٠٠م

٥١- النهاية في الفتن والملاحم لابن كثير-تحقيق:عصام الدين الصبابطي-دار الحديث - القاهرة- الأولى - ١٤٢١ه٢٠٠٠م

٥٢- الهداية والإرشاد في معرفة أهل الثقة والسداد لأحمد بن محمد بن الحسين بن الحسن- أبو نصر البخاري الكلاباذي- بيروت- دار المعرفة، ١٤٠٧ه

ملخص بحث: " قواعد في ولاية الله تعالى"

الولاية في الشرع:مرتبة في الدين عظيمة لا يبلغها إلا المؤمن التقي الذي قام بالدين ظاهراً وباطناً.وهذه الولاية بين العبد وبين ربه تضبطها عدة قواعد استنبطت من الكتاب والسنة ، وهذه القواعد هي:

أساس الولاية الإيمان والتقوى، وشرطها المتابعة.وكل مؤمن معه أصل الولاية إذا كان معه أصل الإيمان.ولا تنال الولاية بالوراثة ولا بالنسب.ولا تثبت الولاية ولا تصح إلا لمن يصح إيمانه وتصح عباداته.والأولياء متفاضلون بحسب تفاضلهم في الإيمان والتقوى.ولا سبيل لحصر عدد الأولياء، ولا تقييدهم بزمان، ولا بمكان، ولا تمييزهم بلباس.والأولياء من غير الأنبياء ليسوا بمعصومين.ولا طاعة واجبة لأحد من الأولياء خلا الأنبياء.ولا يجوز صرف أي نوع من أنواع العبادة لغير الله حتى لو كان نبيّاً أو ولياًّ، ولا تقديسه حيًا أو ميتًا.والولاية لا تبيح لصاحبها فعل المحرمات ولا ترك الواجبات.وليس للأولياء قدرات إلا ما أعطوا من الكرامات.وليس من شرط الولي أن يُعطى كرامة، وليست الكرامات مقياسا للتفضيل بين الأولياء.وإن حصول خوارق العادات ليس دليلا على الولاية.والواجب إعطاء الولي حقه من غير غلو ولا جفاء.والنبوة هي أعلى درجات الولاية وأرقاها.والولاية ليست مختومة كالنبوة.

RESEARCH SUMAARY: “RULES OF THE GUARDIANSHIP OF ALLAH, THE ALMIGHTY”

Guardianship in religion: a higher rank in religion that is only attained by the pious believer who has adopted religion apparently and internally. This guardianship between man and his Lord is governed by several rules which have been deducted from the Holy Quran and Sunna. These rules are as follows:

The basis of this guardianship is faith and piety. Its provision is follow-up. Every believer has the root of this guardianship if he has the basis of faith. This guardianship cannot be attained by inheritance or kinship. This guardianship can also be proved or verified only for the one who has the sound faith and true worship. Protecting friends are preferred according to their differentiation in faith and piety. There is no way for calculating the number of protecting friends or limit them to a certain time or place. They cannot be also differentiated by their clothing. Protectors other than prophets aren’t infallible. There is no mandatory obedience for anyone of protectors except prophets. It isn’t allowed to perform any type of worship for the sake of anybody else other than Allah even if he is a prophet or a protector, nor can he be glorified dead or alive. This guardianship cannot allow its owner to do forbidden actions or abstain from performing his rights. Protectors have no abilities except for these miracles they were awarded. It is not essential that the protector should have a miracle. These miracles aren’t regarded as the scale of preference between prophets. Performing exceptional habits isn’t considered as an evidence of guardianship. It is necessary to offer every protector his right without any exaggeration or repulsion. Prophethood is the higher and supreme rank of guardianship. Guardianship isn’t sealed as prophethood.

فهرس المحتويات

المقدمة	٢
التمهيد	٦
المطلب الأول : سبيل الولاية ، وفيه أربع قواعد :	١١
القاعدة الأولى : أساس الولاية : الإيمان والتقوى	١١
القاعدة الثانية : كل مؤمن معه أصل الولاية إذا كان معه أصل الإيمان	١٢
القاعدة الثالثة : لا تنال الولاية بالوراثة ولا بالنسب	١٣
القاعدة الرابعة : لا تثبت الولاية و لا تصح إلا لمن يصح إيمانه وتصح عباداته	١٥
المطلب الثاني : ما يجب وما يمتنع في حق أولياء الله وفيه عشرة قواعد :	١٨
القاعدة الأولى : الأولياء متفاضلون بحسب تفاضلهم في الإيمان والتقوى	١٨
القاعدة الثانية : لا سبيل لحصر عدد الأولياء ، ولا تقييدهم بزمان، ولا بمكان ، ولا تمييزهم بلباس	٢٢
القاعدة الثالثة : الأولياء من غير الأنبياء ليسوا بمعصومين	٢٣
القاعدة الرابعة : لا طاعة واجبة لأحد من الأولياء خلا الأنبياء	٢٥
القاعدة الخامسة:لا يجوز صرف أي نوع من أنواع العبادة لغير الله حتى لو كان نبيّاً أو ولياًّ، ولا تقديسه حيًا أو ميتًا	٢٧
القاعدة السادسة: الولاية لا تبيح لصاحبها فعل المحرمات ولا ترك الواجبات	٢٩
القاعدة السابعة: ليس للأولياء قدرات إلا ما أعطوا من الكرامات	٣١
القاعدة الثامنة : ليس من شرط الولي أن يعطى كرامة ، وليست الكرامات مقياس للتفضيل بين الأولياء	٣٤
القاعدة التاسعة : إن حصول خوارق العادات ليس دليلا على الولاية	٣٤
القاعدة العاشرة : الواجب إعطاء الولي حقه من غير غلو ولا جفاء	٣٦
المطلب الثالث : علاقة الولاية بالنبوة وفيه قاعدتان :	٣٩
القاعدة الأولى : النبوة هي أعلى درجات الولاية وأرقاها	٣٩
القاعدة الثانية : الولاية ليست مختومة كالنبوة	٤٠
الخاتمة	٤٣
قائمة المراجع	٤٥
ملخص البحث	٤٨
فهرس المحتويات	٥٠